ية العدد : براعم



إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٧٠ ○ صفر ١٣٩٩ هـ ○ يناير ١٩٧٩ م

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

القاهرة ذات التاريخ الحافل بالامجاد والمواقف الاسلامية الخالدة تمتاز بآثارها الرائعة ومساجدها الكبرى التي تنتشر في جميع انحائها القديمة والحديثة وترتفع مآذنها الساحقة في سمائها الطيبة .

انظر صفحة ٧٠ .



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٧٠ ○ صفر ١٣٩٩ هـ ○ يناير ١٩٧٩ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

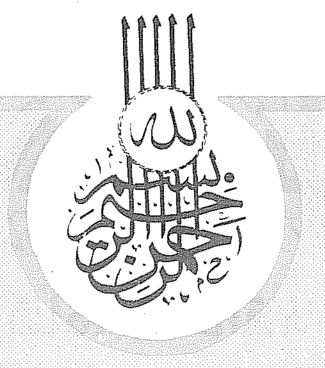
مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



في ذكرى

احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في مسجد فاطمة بضاحية عبد الله السالم بذكرى الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وقد بدأ الحفل بالقرآن الكريم، ثم كلمة السيد يوسف الحجي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، ثم تتابع الخطباء والعلماء فألقوا الكلمات المناسبة وجلال الذكرى.

وقد تولت إذاعة الكويت والتلفزيون نقل وقائع الاحتفال في حينه.. والوعي الإسلامي يطيب لها أن تشارك المسلمين احتفالها بهذه الذكرى الكريمة راجية أن تكون دافعة للأمة إلى الوقوف صفاً واحداً في وجه أعداء الأمة الإسلامية.. ويسعدها أن تسجل لكلمة السيد الوزير بنقلها لقراء الوعي الإسلامي لما فيها من دروس ومواقف إسلامية تفيدنا في عصرنا الحاضر.

الهجـــرَة

قال السيد الوزير بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والتسليم على رسوله الأمين مخاطبا الحضور الكرام :

أيها الأخوة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ..

ففي مطلع هلال شهر المحرم ، من كل عام هجري ، يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، بذكرى الهجرة النبوية الشريفة ، وفي هذه المناسبة الكريمة ، يستعيد المسلمون ماضيهم المشرق ، ويقفون عند معالم واضحة في تاريخهم الحافل بالأمجاد ، وبما أسهمت به أمة القرآن في بناء الحضارة الانسانية وازدهار الحياة بالأمن والسلام .

وحادث الهجرة ليس في ذاته مجرد انتقال من جهة إلى جهة ، وإلا لما تجاوز شأن رحلة إقليمية ، لغرض محدود يختص بصاحبه ، كما أن الحديث عن الهجرة ليس مجرد قصص لما كان ، وإنما هو استذكار نستمد منه العبرة ، التي توحى إلينا بأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

فالهجرة في حقيقتها إعداد للنفوس ، وتجميع للقوى ، وإفساح المجال أمام الدعوة الاسلامية ، لتأخذ طريقها الطبيعي في دنيا الناس .

نعم .. الهجرة إعداد للنفوس ، بتربية الرجال ، وبناء الفرد ، خلال الفترة المكية التي سبقت الهجرة ، وذلك ليتكون جيل يحمل الأمانة ، ويرفع الراية ، وينساح في طول البلاد وعرضها ، ينشر الضياء في آفاق الدنيا ، فتشرق الأرض بنور ربها . وهذا يعطينا المثل في تربية شبابنا على مبادئ الاسلام ، ليشبوا

عليه ، ويكونوا في غدهم من أنصاره وحماته .

والهجرة تجميع للقوى ، لتكون خط دفاع عن الاسلام ، وإعداد العدة للجهاد في سبيل الله ، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ..

ومن هنا يتضح لنا أن الهجرة لم تكن رحلة تجارية ، أو سعيا وراء منافع مادية فقد جرد بها المسلمون من أموالهم وأخرجوا من ديارهم ، كما لم تكن فرارا من الأذى الذي تعرض له المسلمون بمكة ، فقد خاضوا بعد الهجرة حروبا قاسية ، حققوا بها انتصارات حاسمة .. ومن هنا يفرض علينا الاسلام إعداد العدة للجهاد ، وأن نعيش في رباط دائم توقعا لفاجآت الأعداء الذين يعملون جاهدين على تنفيذ مخططاتهم لمحاربة الاسلام ، والسيطرة على ديار المسلمين ومقدساتهم ، والقرآن الكريم يحذرنا كيدهم ومكرهم ، ويضع في يد المسلمين مفاتيح الدراسة النفسية لهؤلاء الأعداء ، كما عرى طبيعتهم من زيفها ، فبدت سافرة تعلن عن نفسها ، فمنطقهم يقوم على المادية الطاغية التي يستبيحون في سبيلها ظلم غيرهم ، وتدمير مقوماتهم ، فقد حكى القرآن الكريم عنهم قولهم : « ليس علينا في الأميين سبيل » وإن دعواهم تقوم على الغرور والبطر الذي يكشف عنه قولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » ، وإن طبيعتهم لتنطوي على المراوغة والخداع فلا يؤثر فيهم منطق ، ولا يذعنون لحجة ، وليس ينفع معهم الا القوة والقهر (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة) .

وإننا حين نستعرض مواقف الهجرة المجيدة ، نستلهم ، منها حوافز تدفعنا إلى الجد النافع ، والعمل المثمر ، وإننا لنلمح للشباب فيها دورا عظيما ، يتمثل في الشاب المؤمن مصعب بن عمير ، رضى الله عنه أول مبعوث في الاسلام ، سبق إلى المدينة ، ومهد للهجرة ، بدعوة الناس إلى دين الله ، فلم يبق بيت في المدينة إلا امتد إليه شعاع من نور الاسلام . ونوم علي كرم الله وجهه ورضى الله عنه على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة وهو يعلم أن السيوف من حوله مشرعة توشك أن تنقض عليه من كل جانب ، وهذا يعطي المثل عاليا للشباب ليهجر الترف والدعة ، ويقتحم الأخطار ، ويعانق الأهوال ، مضحيا في سبيل دينه وعقيدته بكل غال وبهيج .

وللفتاة المسلمة دورها البارز في الهجرة ، فهذه عائشة الصديقة بنت الصديق ، تشترك مع أختها أسماء ذات النطاقين رضى الله عنهم ، في الاعداد للهجرة ، وتقديم العون للمهاجرين العظيمين وتعتيم المسالك أمام الكفار الباحثين المطاردين لموكب النور ، وحمل الزاد والأخبار إلى الغار ، وقد تم ذلك في تخطيط دقيق ، وسرية تامة ، وعلى المرأة المسلمة أن تتخذ لها عبرة وأسوة من هذا الموقف البطولي لأسماء وعائشة رضى الله عنهما ، وللمجاهدات الصابرات في ساحات

المعارك الاسلامية ، فتجند نفسها لخدمة دينها ، وتنشئة أبنائها وبناتها على منهج الاسلام وهداه .

وبتمام الهجرة ، بدأت دولة الشرك تنهار ، وبدأ المسلمون في تنظيم دولتهم ، انطلاقا من المسجد الذي كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم في أول عهده بالمدينة ، وعلى ضوء آيات القرآن الكريم ، التي بدأت تتنزل بالتشريع ، ونظم الحكم ، وقواعد المعاملات والسلوك ، واستطاع المسلمون بعد الهجرة ، أن يجمعوا شملهم في إطار جماعي واحد ، فلا أوس ولا خزرج ، وإنما أنصار ومهاجرون ، وكلهم جنود الاسلام ، وأتباع محمد صلوات الله وسلامه عليه . وبذلك استطاعوا أن يكونوا قوة تزعج قريشا ، وتلقى الهيبة في قلوب الأعداء في سائر الأنحاء ، وبالهجرة انتعش الاسلام ، وامتد سلطانه ، ووجد البيئة الصالحة التي يتنفس فيها عبير الحرية والعزة ، وجاءت بعدها البشرى من الله لعباده : (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون) .

وإن ذكرى الهجرة تطالعنا اليوم ، ونحن بين يدي جهود تبذل لجمع الشمل ، ورأب الصدع ، لمواجهة قوى الشر والبغى ، فالعبرة الواضحة من الهجرة أنها عمل بناء يشد أركان الأمة الاسلامية ، يجمع ولا يفرق ، ويصون ولا يبدد ، وإن يكن حادث الهجرة في أوله صراعا بين الحق والباطل ، ثم مواجهة جريئة بجهود موحدة لقوى الضلال والبغى ، فقد كان في نهايته نصرا مؤزرا لكتائب الحق ، التي اكتسحت ركام الجاهلية ، ومكنت لدين الله في الأرض وصدق الله العظيم إذ يقول : (وإن جندنا لهم الغالبون) .

وختاما أغتنم هذه المناسبة لأذكر شبابنا المسلم في الكويت بأن المجال مفتوح للانتساب إلى الجامعات الاسلامية والوزارة في حاجة إلى كافة التخصصات في الميدان الاسلامي للالتحاق بالدراسات الاسلامية وإنها بالتعاون مع وزارة التربية قد مهدت الطريق بجميع الوسائل التي تكفل تسهيل مهمة الطالب . لكي ينهل من العلوم الاسلامية المتنوعة .

وفي الختام يطيب لي أن أقدم تهنئة خالصة صادقة إلى صاحب السمو أمير البلاد ، وإلى ولي عهده الأمين ، وإلى الشعب الكويتي ، وإلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ضارعين إلى الله تعالى أن يعيد علينا هذه الأيام المباركة بالقوة والعزة والايمان الكامل ، والتطبيق الشامل لشريعة الاسلام ، وبذلك نتلاقى مع وعد الله الكريم : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

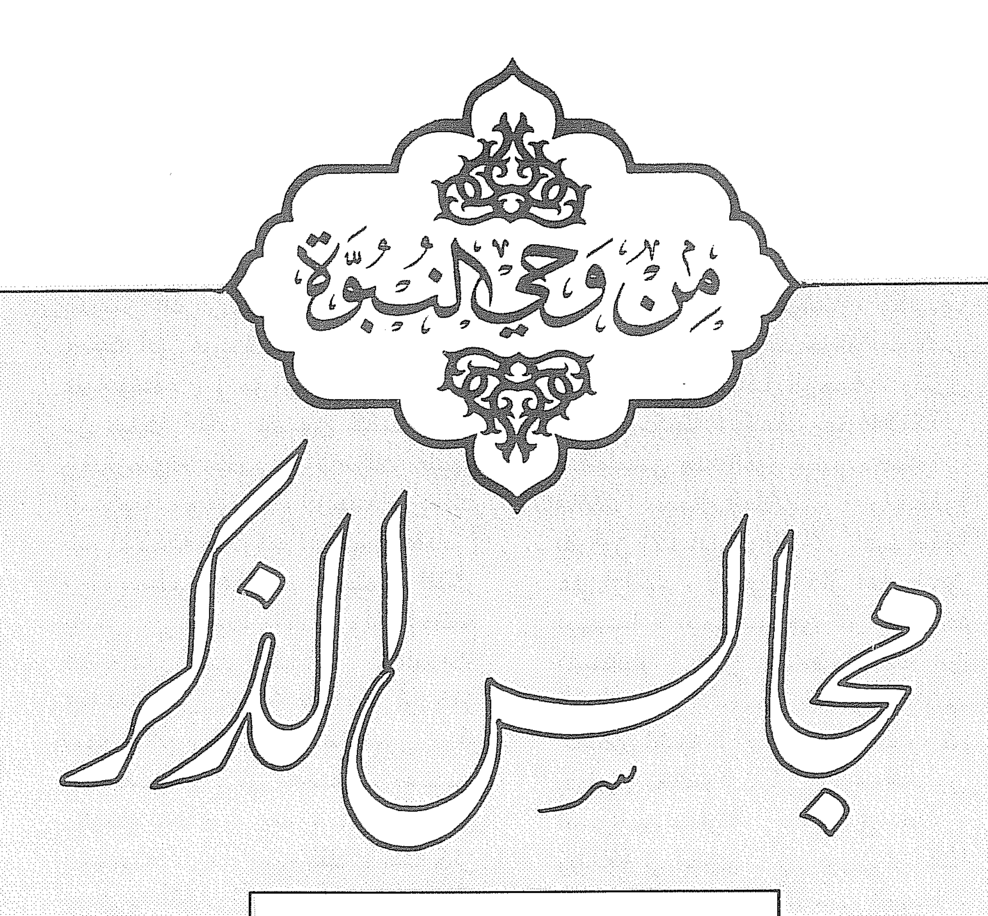
والله ولي التوفيق ، وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إنّ لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلمّوا إلى حاجتكم ، قال فيحفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربّهم وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟ قال : يقولون ، يسبّحونك ، ويكبّرونك ، ويحمدونك ، ويمجّدونك قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون ، لا والله ما رأوك ، قال : فيقول ، وكيف لو رأوني ؟ قال : فيقولون : لو رأوك كانوا أشدّ عبادة ، وأشدّ لك تمجيدا ، وأكثر لك تسبيحا ، قال : فيقول : فما يسألوني ؟ قالوا : يسألونك الجنة ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يا ربّ ما رأوها ! قال : فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنّهم رأوها . كانوا أشدّ عليها حرصا ، وأشدّ لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة ، قال : فممّ يتعوّذون ؟ قال : يقولون : من النار ، قال : يقول : فهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا ربّ ما رأوها ، قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ ، قال : يقولون لو رأوها كانوا أشدّ منها فرارا ، وأشدّ لها مخافة ، قال : فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم) .

رواه البخارى ومسلم .



للشيخ : عبد الجليل عيسى

(إن لله ملائكة) أي زيادة على الحفظة لا وظيفة لهم إلا البحث عن حلقات الذكر (يلتمسون أهل الذكر) وفي رواية مسلم (يتتبعون مجالس الذكر) .

وقبل السير في شرح الحديث ينبغي الوقوف على حقيقة معنى مجالس الذكر المرادة في الحديث ، حتى يكون المطلع عليها على بينة من الأمر ، فلا يقع فيما وقع فيه غيره من كثير ممن جهلوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في ذلك ، فنقول وبالله التوفيق : قال الشاطبي في كتابه الاعتصام جزء ٣ صفحة ٨١ : وقع سؤال عن قوم يتسمون بالفقراء بزعمهم أنهم سلكوا طريق الصوفية ، فيجتمعون في بعض الليالي ويأخذون في الذكر الجهوري ، على صوت واحد ثم في الغناء والرقص إلى آخر الليل : هل هذا العمل صحيح في الشرع أو لا ؟ فوقع الجواب بأن ذلك كله من البدع المستحدثات ، المخالفة لطريقة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقة أصحابه والتابعين لهم باحسان ، ثم قال : إن مجالس الذكر الصحيح هي ما كانت على ما اجتمع عليه السلف الصالح فانهم كانوا يجتمعون لتدريس القرآن فيما بينهم كما جاء في حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم . هذا هو الاجتماع للذكر وليس على صوت واحد ، واذا إجتمع القوم على التذكر لنعم الله ، أو التذاكر في العلم إن كانوا علماء ، أو كان فيهم عالم فجلس إليه متعلمون ، أو اجتمعوا ، يذكر بعضهم بعضا بالعمل بطاعة الله ، والبعد عن معصيته ، وما أشبه ذلك ، مما كان يعمل به الرسول صلى الله عليه وسلم في أصحابه وعمل به الصحابة والتابعون ، فهذه المجالس كلها مجالس ذكر وهي التي جاء فيها من الأجر ما جاء ثم قال : وكان الذي نراه معمولا به في المساجد أن تجتمع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن ، أو يعلمهم علما من العلوم الشرعية ، أو تجتمع إليه العامة فيعلمهم أمور دينهم ، ويذكرهم بأس ربهم ، كما قال تعالى : **(وذكرهم بأيام الله)** إبراهيم/٥ ويبين لهم سنة نبيهم ليعملوا بها ، ويبين لهم المحدثات التي هي ضلالة ليحذروها ، فهذه مجالس الذكر على الحقيقة ، وهي التي حرَمها الله أهل البدع من هؤلاء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف ، وقل أن تجد فيهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة فضلا عن غيرها ، ولا يعرف كيف يستنجي أو يتوضأ ، وكيف يعلمون ذلك ، وهم قد حرموا مجالس الذكر التي تغشاها الرحمة ، وتنزل فيها السكينة ، وتحف بها الملائكة ؟ فبانطماس هذا النور عنهم ، ضلوا ، فاقتدوا بجهال أمثالهم ، وأخذوا يقرأون الأحاديث والآيات ، فينزلونها على آرائهم ، لا على ما قال أهل الحق فيها ، فيخرجون عن الصراط المستقيم ، ويقرأ أحدهم شيئا من القرآن يكون حسن الصوت جيد التلحين تشبه قراءته الغناء المذموم ثم يقولون تعالوا نذكر الله فيرفعون أصواتهم مداولة : طائفة في جهة ، وطائفة في أخرى ، ويزعمون أن هذا من مجالس الذكر المندوب إليها ، وكذبوا ، فانه لو كان حقا لكان السلف أولى بادراكه والعمل به ، وإلا فأين في الكتاب أو في السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهرا عاليا ؟ وقد قال تعالى : **(واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول)** آية ٢٠٥ من سورة الأعراف ، وقال تعالى : **(ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين)** آية ٥٥ من سورة الأعراف ، وقد فسر العلماء المعتدين بالرافعين أصواتهم بالدعاء ، فعن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه

قال : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم » رواه الشيخان . انتهى ما قاله الشاطبي . ومعنى أربعوا على أنفسكم : ارفقوا بها .

وروى الشيخان أيضا عن أبي هريرة ، في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : « ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » قال شراح الحديث : رجل ذكر الله بلسانه ، أو بقلبه خاليا من الخلق ، أي في خلوته لأنه أقرب إلى الاخلاص ، وأبعد من الرياء ، ففاضت عيناه من الدمع لرقة قلبه وشدة خوفه .

وقال الغزالي في الاحياء في (بيان ما يدل من الفاظ العلوم) ص ٢٨ :

ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم : « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب) رواه أبو داود . التفت إلى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال : لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه ، يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا ، إنما كنا نقعد فنذكر الايمان ، ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ، ونعد نعم الله علينا تفقها ـ . ثم قال : وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة ، فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه ، وهو القصص والأشعار والشطح والطامات : أما القصص فهي بدعة ، وقد نهى السلف عن الجلوس إلى القصاص ، وقالوا لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمن العمرين بعده . ثم فسر الشطح بصنفين من الكلام ، أحدثهما بعض المتصوفة : أحدهما الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله عز وجل ، والآخر كلمات غير مفهومة ، وكثيرا ما تصور من تخبط في العقل ، وحيرة في النفس ، ثم قال : وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح ، وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة ، كدأب الباطنية في التأويل وهذا من البدع الشائعة العظيمة الضرر . (انتهى ما قاله الغزالي ملخصا) .

وقوله في الحديث : (هلموا) أي تعالوا ، وهو على لغة أهل نجد ، وأما في لغة أهل الحجاز ، فهو بلفظ الافراد مطلقا للواحد والأثنين والجمع . (فيحفونهم بأجنحتهم) يقال حفه بالشيء إذا لفه به كما يحف الهودج بالثياب ، والباء للتعدية أي جعلوا أجنحتهم حافة ودائرة حولهم ، وقوله (إلى السماء) متعلق بيحفونهم على تضمينها معنى الارتفاع ، أي يحفونهم مرتفعين إلى السماء ، وفي رواية سهيل عند مسلم : (قعدوا

معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا) .

(وهو أعلم منهم) أي من الملائكة بحال الذاكرين ، وفي رواية (بهم) أي بالذاكرين ، وعلى كل فالجملة حالية أو معترضة أتى بها دفعا لتوهم أن السؤال لاستفادة السائل جل وعلا ، ففائدة السؤال هنا مع العلم بالمسؤول – التعريض بالملائكة .

وبقولهم في بني آدم : **(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)** البقرة/٣ (قالوا) أي الملائكة (ويمجدونك) بالجيم أو يعظمونك ، وفي حديث أنس عند البزار (ويعظمون آلاءك ، ويتلون كتابك ، ويصلون على نبيك ، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم) .

(وأشد لك تمجيدا) زاد أبو ذر (وتحميدا) (يقول فما يسألوني ؟) بحذف إحدى النونين تخفيفا ، ولأبى ذر (فيقول فما يسألونني ؟) بزيادة الفاء وإثبات النون .

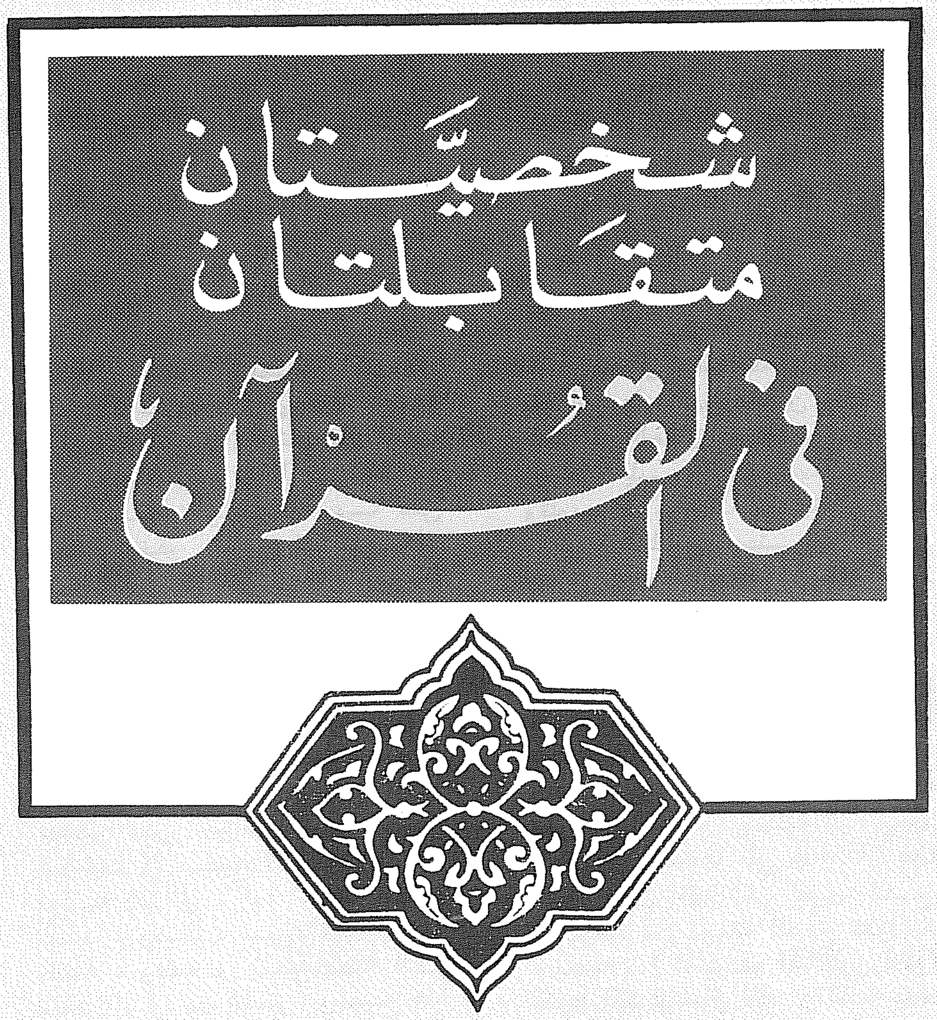
وقوله : (فأشهدكم أني قد غفرت لهم) وفي رواية سهيل عند مسلم زيادة (وأعطيتهم ما سألوا) .

(إنما جاء لحاجة) وفي رواية سهيل (يقولون رب فيهم فلان عبد خطاء انما مر فجلس معهم ، قال : وله قد غفرت) أي غفرت له كما غفرت لهم .

(هم الجلساء) وفي رواية سهيل (هم القوم) وفي (أل) إشعار بالكمال ، أي هم القوم كل القوم ، الكاملون فيما هم فيه من السعادة باجتماعهم على ذكر الله .

وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين ، وفضل الاجتماع على ذلك ، وإن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله به عليهم ، إكراما لهم ، ولو لم يشاركهم في أصل الذكر ، وفيه محبة الملائكة للذاكرين من بني آدم ، وإعتناؤهم بهم ، وفيه جواز القسم على الأمر المحقق تأكيدا له وتنويها به . وفيه الاشارة إلى أن تسبيح الآدميين وتحميدهم أعلى وأشرف من تسبيح الملائكة وتحميدهم ، والسر في ذلك حصوله مع عدم المشاهدة ووجود الصوارف مما سلط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان .

هذا وقد قال الامام النووي : قال القاضي عياض رحمه الله : وذكر الله تعالى ضربان : ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان : أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها ، الفكر في عظمة الله وجلاله ، وجبروته وملكوته ، وآياته في سمواته وأرضه ومنه الحديث (خير الذكر الخفي) رواه أحمد في مسنده وابن حبان باسناد صحيح . والمراد به هذا . والثاني ذكره بالقلب عند الأمر والنهي ، فيتمثل ما أمر به ، ويترك ما نهى عنه ، ويقف عما أشكل عليه . وأما ذكر اللسان مجردا ، فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم ، كما جاءت به الأحاديث والله أعلم .



للشيخ : عبد اللطيف مشتهري

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام .وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد .

﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ﴾ البقرة / ٢٠٤ — ٢٠٧

فريقان من الناس ، ليسوا سواء في موازين الرجال ، ولا التأثير في الحياة ، لا تخلو منهما أمة ، ولا يفقدهما زمان ، وعلى قدر يقظة

الافراد ، في التمييز بين الفريقين ، وتقديــر النوعين ، تجني الامة ثمار الخير وتنتفع بمزايـــا البطولـــة ، في الوقت الذي تتحاشى فيه الانخداع بصور النذالة وتمويه الخسة ، ولا قيام لباطل الا في غفلة اهل الحق ، ولا رواج لدجل الا على حساب مغفلين.

احد الفريقين لئيم ماكـــر ، يخدع البسطاء السذج بالقـــول المعسول المنمق المرصوص: **(وان يقولوا تسمع لقولهم)** المنافقون/٤ ويتخذ من الحلف بالله ، واشهاده زورا على مطابقة قلبه للسانه ، جنة يموه بهـــا على ضعفاء التفكير ، حتى ينخدعوا بحلو كلامه ، وغليظ ايمانـــه ، ويحسبوا انه على شيء : **(واللـــه يشهـــد أن المنافقين لكاذبـــون)** المنافقون / ١ وهم عند الله وفى واقـــع سلوكهـــم الد الخصام منحرفون معوجـــون ، فاحشون متفحشون ، كملت فيهـــم آيات النفاق : (اذا حدثوا كذبوا،واذا عاهدوا غدروا، واذا خاصموا فجروا) كما ثبت في صحيح الأحاديث . هذا قولـــه البراق ، اما اعتقاده فهـــو فاسد ، وضميره سيىء ، ونيتـــه خبيثة ، وقلبه من ناحية محبة الخير للناس أسود من الفحم ، وينضح هذا على سلوكه وتصرفاته وعلاقاته ، فترى أعماله مضادة لأقواله ــ كلها فساد وافساد ، وظلم وعناد، وبغى والحاد ، والقرآن الكريم يعبر عـــن هذا اللئيم بأنه بمجرد انتهائـــه مـــن كلامه وخطبه وتمويهاته ، التى خدع بها الجماهير ، يعود الى سجيته في السر ساعيا ومسرعـــا في الأرض بالتدمير والتخريب لما عليها ولمن عليها فهو مفسد فيها مهلك لخيراتها معتد على أناسيها ، .

قال ابن كثير ، : والصحيح أن الآيات هذه عامة في كل المنافقين ، ونقل عن محمـــد بن كعب القرظى أن الآية من القرآن قد تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد : (العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب) كما نقل عن نوف البكالى (وكان ممن يقرأ الكتب) قال : انى لأجد صفة ناس من هذه الأمة فى كتاب الله المنزل ، قوم يحتالون على الدنيا بالدين ، السنتهم احلى من العسل وقلوبهم أمر مـــن الصبر ، يلبسون للناس مسوك الضأن وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول اللـــه تعالى : فعلـــى يجتـــرئون ، وبى يفترون ، حلفت بنفسي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم فيها حيران ، قال القرظى : تدبرتها في القرآن ، فاذا هم المنافقون ،فوجدتها: **(ومن الناس من يعجبك قولـــه فى الحيـــاة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه)**الآية ، وقد قرأ ابن محيض **(ويشهـــد الله على مافي قلبـــه)** بفتـــح الياء وضم الجلالة ، ومعناها على هذا : ان هذا المنافق وان أظهر لكم الحيل ،لكـــن الله يعلم من قلبـــه القبيح كقولـــه سبحانه : **(اذاجاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله واللـــه يعلم انـــك لرسوله والله يشهـــد ان المنافقين لكـــاذبون)** المنافقون /١ والجمهور على ضـــم اليـــاء ونصب الجلالة ، فهم : **(يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القـــول)** النساء / ١٠٨ .

وزاد الطين بلة ، انه جمع مـــع فساد اعتقاده وقوله وسلوكـــه كبرا وغرورا ، وصلفا وتعاليـــا ، فهـــو

معتد بذاته يعطيها فوق قدرها ، ويتعامى عن نقصها فلا يسعى في تكميلها أو تزكيتها واذا ما نبهه مؤمن الى خطورة أمره وتدهور حاله ، ولفت نظره الى وجوب تدارك مافات، والعودة الى الحق فيما هو آت ، ركبه شيطان الغضب ، واندفع في حمقه لآخر الشوط ، وأخذت بمجامعه العزة الآثمة ، والكبرياء المقيت ، لأنه يتوهم أنه أكبر من أن يخطىء ، وبالتالي أعظم من أن يوعظ ، كما قال تعالى في أمثاله : **﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ﴾** الحج /٧٢ فهو بدل أن يشكر الناصح له ،ويثنى عليه خيراً ، أو على أخف بلاء يسكت عليه ويدعه وشأنه ، يرد عليه بأقبح الكلمات، معنفا وموبخا ، وكثيرا ما يدبر خطة التخلص منه ، أو انزال أقسى العقوبات به : **﴿ لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾** الأعراف / ٧٩ .

قال في المنار : ان هذا النوع من المنافقين ، لا يعجزه أن يختلب الناس ويغشهم بما يظهر من الميل اليهم واسعادهم في شئونهم ومصالحهم فالأوصاف التى يعتمد عليها ثلاثة : حسن القول بحيث يعجب السامع واشهاد الله على صدقه وحسن قصده بضروب التاكيد الذي يقبله خالي الذهن، وقوة العارضة في الجدل التي يحاج بها المنكر أو المعارض ، وأما بيان سوء حاله وفساد أعماله فهو فى الآيتين التاليتين ، ثم قال : وهذا الفريق من الناس يوجد في كل أمة ، وتختلف الخلابة اللسانية في الأمم باختلاف الأعصار ، ففي بعض الأزمنة لا يتيسر للواحد أن يغش بزخرف القول الا الفرد أو الأفراد المعدودين ، وفي بعضها يتيسر له أن يغش الأمة في مجموعها حتى ينكل بها تنكيلا ، قال : وان الصحف في عصرنا هذا قد تكون طريقا للغش العام،كما تكون طريقا للنصح العام، وانما يكون تلبيسها سهلا على من يعجب العامة قولهم فى الأمم التى يغلب فيها الجهل ، لاسيما في طور الانتقال من حال الى حال ، اذ تختلف ضروب الدعوة وطرق الارشاد ، ثم ضرب أمثلة من الغاشين لأمتهم ،ومن الناصحين لها ، وكيف يروج غش الأولين ، وكيف يضطهد الآخرون ، وأطال النفس في البيان والشرح ، وقال والقول الاخرفيمعنى:**(واذاتولى ...)** أي اذا صار واليا له حكمينفذ، وعمل يستبد به ، وافساده حينئذ يكون بالظلم مخرب العمران وآفة البلاد والعباد ، واهلاكه الحرث والنسل يكون اما بسفك الدماء والمصادرة في الأموال واما بقطع آمال العاملين من ثمرات أعمالهم وفوائد مكاسبهم ، ومن انقطع أمله انقطع عمله الا الضروري الذى به حفظ الدماء ولاحرث ولانسل الا بالعمل ، وقد شرحت لنا حوادث الزمان وسير الظالمين هذه الآية ، فقرأنا وشاهدنا أن البلاد التى يفشو فيها الظلم تهلك زراعتها ، وتتبعها ماشيتها ، وتقل ذريتها ، وهذا هو الفساد والهلاك الصوريان ، ويفشو فيها الجهل وتفسد الأخلاق ، وتسوء الأعمال، حتى لايثق الأخ بأخيه ، ولايثق الابن بأبيه ، فيكون بأس الأمة بينها شديدا،

ولكنها تذل وتخنع للمستعبدين لها ، وهذا هو الفساد والهلاك المعنويان وفي التاريـــخ الغابر والحاضر مـــن الآيات والعبر مافيه ذكري ومزدجر .. الى آخر ما سطره الامام محمد عبده فى تفسير الآيات في المنار من ص ٢٤٤ الى ص ٢٥٥ ج ٢ ، ولهذا استحق هذا النوع الضال المضـــل أن يصلى نارا تلظى :(**فحسبـــه جهنـــم ولبئس المهاد**) .

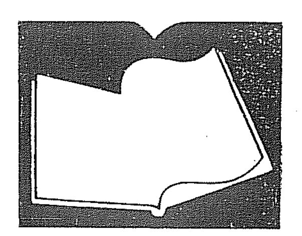
أما فريق الأبطال ، الرجـــال ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليـــه، فهم نوع كريم :(**يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله**) ، أى يبيع نفسه لله ، لايبغى ثمنالها غير مرضاته ، لايتحري الا العمل الصالح ، وقول الحق ،مع الاخلاص في القلب ،فلا يتكلم بلسانين، ولا يقابل الناس بوجهين ، ولايؤثر على ما عند الله عرض هذه الحيـــاة الدنيا ، وما عند كبرائها ومترفيها من القصور ،ومتاع الزينة والغرور،وهذا هو المؤمن الذي يعتد القرآن بايمانه، قال ابن عباس وغيره : نزلت هـــذه الآية في صهيب بـــن سنان الرومى لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعـــه الكفار أن يهاجر بماله الا متجرداً منه ففعل ، واستغنى عن ماله ــ ليبقى على عقيدته ودعوته ،وليلحق بركب الايمان ، فتلقاه عمر بن الخطـــــاب وجماعة الى طرف الحرة فقالوا لـــه ربح البيع،فقال :وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم ، فماذاك ؟ فأخبروه بنزول الآية ،وقال له صلى الله عليه وسلم « ربح البيع» وانظر رعاك الله الى المقابلة بين الطائفتين،طائفة مجرمة تبيع للناس أقوالا جوفاء، وتخدعها بجميل الأماني،ومغلظات القسم بالله، حتى اذا ولت أو تولت،عتت وأفسدت وأهلكت ،وطائفة أخري علت وسمت، وباعت لله أغلى ماتملك : (الـــروح والمال) (**ان الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنـــــة يقاتلون في سبيل اللـــه فيقتلـــــون ويقتلون**) التوبة /١١١ وهذه الطائفة هـــي النمـــاذج ،التي تحيـــابهـــا الأمم ، في حياتهم وبعد مماتهـــم ،في حياتهم مثلا وقدوة ، وبعد مماتهـــم ذكرى وسيرة عطرة تدفع بـــالناس الى ميادين البذل والتضحية ، وهذه الطائفة أسست أمرها من أول يوم على الايمان بالله وبماشرع ، فهانت لديها الدنيا بحطامها ، فعزفت نفسها عن السفساف ، وعزت لديها الآخرة، فشدت اليها الرحال،قال الامام محمد عبده : وأما الايمان القولي الـــذي يظهر على الألسنـــة ولايمس سواد القلوب، ولا تظهر آثاره في الأعمال، ولا يحمل صاحبه شيئا من الحقوق لدينه وملته ، ولا لقومه وأمته ، فلا قيمة له فى كتاب الله ،ولايقام لصاحبه وزن في يوم الله ، بل يخشى أن يقال لذويـــه يومئذ : (**أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغـــير الحـــق وبما كنتم تفسقون**) الأحقاف / ٢٠ والآيـــة لاتنافي طلب الدنيا من الوجوه الحسنة ونيل زينتها التى أخرجها الله لعباده والطيبات من الرزق ، ولكن الذي ينافي مرضاة الله فهـــو أن يسترسل المرء في سبيل حظوظه وشهواتـــه خارج الحدود المشروعة فيفسد في الأرض ، ولا يبالي بأن يهلك بافساده الحرث والنسل .

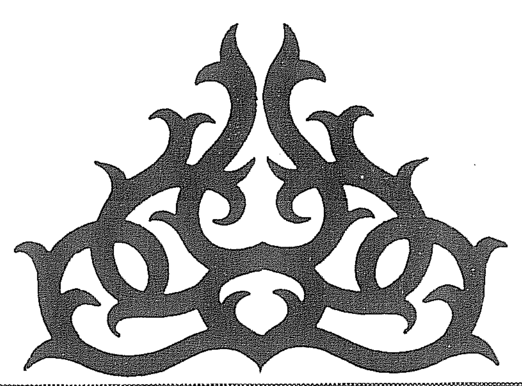
قال : ثم ان هذا البيع لايتحقق الااذا كان المؤمن يجود بنفسه وبماله

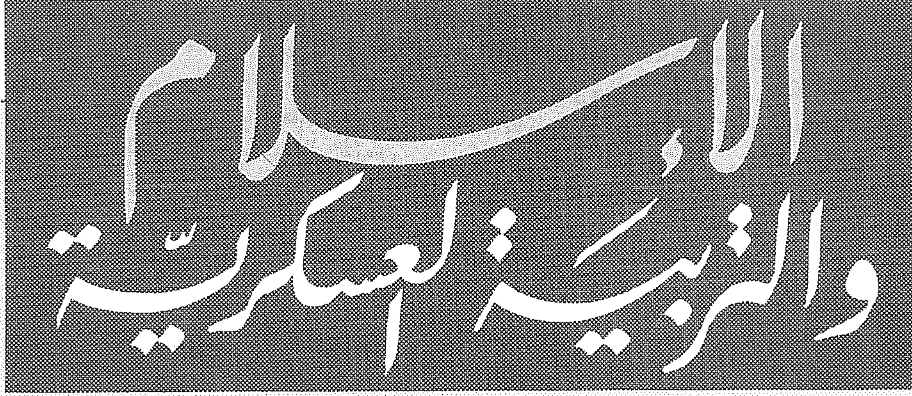
في سبيل الله،اذا مست الحاجة الى ذلك ، فكيف اذا ألجأت اليه الضرورة كجهاد أعداء الملة والأمـــة ، عنـــد الاعتداء عليهما ، أو الاستيلاء على شيء من دار الاسلام ، وحينئذ يكون فرضا عينيا على جميع الأفراد ، فمن قدر على الجهاد بنفسه وجب عليه، أو بماله وجب بذله ، أو عليهما معا وجبا ، وسبيل الله ، هي الطريق الموصلة الى مرضاتـــه ، وهي التي يحفظ بها دينه ويصلح بها حال عباده ومعني هذا أنه لايكتفي مـــن المؤمن أن يكتسب الحلال ويتمتع به ، وينفع نفسه ولا يضر غيره ، وأن يصلـــي ويصوم « ويكتفي بهذا » فكل هذا يعمله لنفسه خاصة ولكن يجب أن يكون وجوده أوسع ، وعمله أشمل وأنفع ، فيساعد على نفع النـــاس ودرء الضرر عنهم ، بحفظ الشريعـــة وتعزيز الأمة بالمـــال والأعمــــال ، والدعوة الى الخير ، ومقاومة الشر ولو أفضى ذلك الـــى بذل روحه ، فان قصر في واجب يتعلق بحفظ الملة واعزاز الأمة « بغير غدر شرعي » فقد آثر نفسه على مرضاة اللهتعالي، وخرج من زمرة كملة المؤمنين، الذين باعوا أنفسهم لله تعالي ، وكان أكبر اجراما ممن قصر في واجب يعـــود التقصير فيه على نفسه وحدهـــا ،

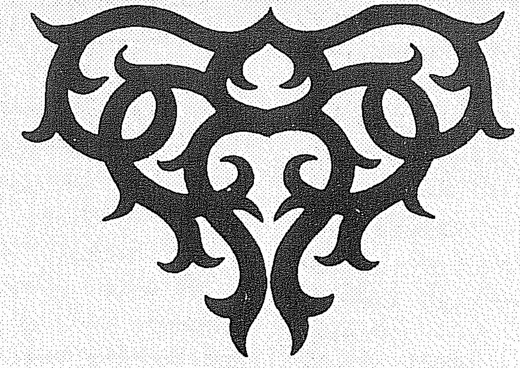
قال : وكثير ممن تعجبك أقوالهم من صف المسلمين ، لا يصلـــون ولا يصومون ، ولا يزكون ولا يحجـــون: **﴿ ويقولون على الله الكذب وهـــم يعلمون ﴾** آل عمران/٧٥ ويـــأتون كثيرا من الكبائر جهارا ، ويصرون عليها اصرارا ... اهـ

وخلاصة القول أيها العربي المؤمن أن أمامك في هذه الآيات البينات ، صنفين،من الناس ، صنفا ، مخادعا كاذبا منافقا حلافا مهينا ،معتديـــا أثيما ، وصنفا فدائيا ، بطلا فتيا ، نقيا تقيا ، وفي دين الله قويا ، فكن أخي هذا الصنف الذي نوه الله بـــه في كتابه ، تسعد فى عاجلك وآجلك وتسعـــد بـــك أمتك فـــي حاضرها ومستقبلها ، ولاتكن الصنف الأول، فتهلك فيمن هلك ،بل أوصيك واياي، اذا لقينـــاه ، أو سمعنـــــاه ، أو علمنـــاه أن نحتقــــره ونخذله ، وندمـــره ونصغـــره ، ونكشـــف للناس عيوبه وخداعه ، وبهـــذا يقذف الله بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ويحق اللـــه الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ،وبهذا نقلل من فساد المفسدين ، ونكثر من سواد المؤمنين « ومـــن كثر ســـواد قوم فهو منهم » ولوتضافر أهل الحق المتوكلون على اللـــه ، الأقوياء في دينهم على تسفيه الأنـــذال ، وتكريم الأبطال ، لاختفت الجراثيم من صفوف الأمة ، ولمنحت قوتهـــا وعافيتهـــا ، فوصلت لشاطىء الأمن بســـلام ،









تمهيد :

يقصد بالتربية العسكـــرية تدريب الجسم وصقل العقل وتهذيب النفس بهدف خلق رجال على استعداد لأداء واجبهــم القتالي بكفاءة عالية حتى الاستشهاد في سبيل الرسالة التي أعدوا لها .

والقتال ضروري في هذه الحياة لأن فيها الحق والباطل وفيهــا صاحب الايمان بالقيم الانسانية وصاحب الكفر فيها وبغير القتال لا يستقيم الحال بل ينتشر الفساد وتعــم البلوى : **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)** البقرة/ ٢٥١ . ومن هنا كان القتال ضرورة بل نعمة من نعم الله على العالم الانساني .

للاستاذ/على القاضي

والاسلام ارتقى بفكرة الحرب وسما بأسبابها فلا مكان في الاسلام للقتال بهدف العدوان أو الرغبة في السيطرة او السعي الى فرض نفوذ او امتداد حدود ـ وقد دعا الناس جميعا الى أن يدخلوا في السلم كافة:(**يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**) البقرة/٢٠٨ . ذلك لأن الاسلام دين الفطرة ولذلك فقد هذب فكرة الحرب في النفوس وحصرها في أضيق الحدود فجعلها محصورة في انقاذ الناس من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ذلك ما جاء على لسان ربعى بن عامر وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة في حديثهم الى رستم قائد جيش الفرس في موقعة القادسية حينما سألهم واحدا بعد واحد في ثلاثة أيام متوالية : ما الذي جاء بكم ؟ (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام) كما جعلها للدفاع : (**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير**) الحج/٣٩ . أو لتأديب ناكثى العهد:(**وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون**) التوبة/١٢ .. فان رغبوا في السلام فان الاسلام يرغب فيه (**فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين**) البقرة / ١٩٣ .

ولعل المجتمع الاسلامي هو المجتمع الوحيد الذي يعيش بين أفراده على مدى التاريخ أناس من غير المنتمين اليه دينا ومع ذلك فهم يحسون في ظلاله بالأمن والاطمئنان والعدالة والمساواة الى درجة أدهشت الناس في جميع الاماكن والأوقات وفي ذلك كتب المستشرق الفرنسي جوتينيه في كتابه (أخلاق المسلمين وعوائدهم) يقول:(مما تشاهده داخل بلاد الاسلام قديما وحديثا حين يمتص الاسلام دائما بين جناحيه من المحيط الهادي الى المحيط الاطلنطي طوائف من غير المسلمين ولم يفكر العرب ولا المسلمون يوما حتى في أشد اوقات حميتهم الدينية أن يضعفوا بالدم دينا منافسا لدينهم ولم يفكر الخليفة يوما في أن يضطهد مسيحيا يعقوبيا أو مجوسيا مانويا إنها فضيلة تستحق كل الاعجاب والتقدير) .

إعداد الفرد :

والاسلام يعد الفرد إعدادا متكاملا فالمسلم حر وليس عبدا إلا لله

وصلته بربه قوية ودائمة ولذلك فهو يعيش في أمن وسلام واطمئنان؛(**فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) البقرة/٣٨ . وقد عمل الاسلام على تكوين الضمير الذي يجعل المسلم يرضى الله في كل خطوة من خطواته فهو يجاهد نفسه ضد العادات السيئة والأخلاق المعوقة داخل النفس كالحقد والحسد والبغض وخارجها كالاعتداء على الناس . ثم ان المسلم يندفع الى أداء واجبه على اكمل وجه معتمدا على قوة ذاتية داخل نفسه سواء أكان هذا الواجب لنفسه أم لمجتمعه . في أعلى درجة من الكفاءة والفاعلية ، و الاسلام لا يكتفي بأداء الواجب بل يطلب من المسلم الاحسان في أدائه ويفسر الرسول الكريم الاحسان بقوله (أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) رواه البخارى .

كما أن الاسلام يربى الفرد المسلم على الطاعة لله ولرسوله وأولى الأمر ما داموا سائرين على منهج الله (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول**) النساء/٥٩ . وبعد ذلك يقوم المسلم بالتدريب على السلاح وأداء واجبه ، والاسلام يطلب أن يكون تدريب المسلم مستمرا حتى تكون كفاءته القتالية عالية .

وفي صحيح مسلم عن عقبة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى وقال انس ما ذكرت القوس عند النبي عليه السلام الا قال : ما سبقها سلاح إلى خير قط) وروى البخاري عن ابي سعيد الخدري انه قال : قيل يا رسول أي الناس أفضل ؟ قال : مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله)

إعداد المجتمع :

الاسلام يعد المجتمع الاسلامي ليتسلم قيادة البشرية ويربيه على أساس واقعه بكل ما فيه من قوة وضعف حتى تكون قيادته قيادة راشدة فيها صلابة الحق اذ أن أية عقيدة انما تحيا وتعمل وتؤثر بمقدار ما تحمل من قوة كامنة وسلطان وذلك يتوقف على مقدار ما فيها من الحق ومن توافق مع القاعدة التي أقام الله عليها الكون ومع مشيئة الله التي تعمل في هذا الكون وعندئذ يمنحها الله القوة والسلطان المؤثرين في هذا الوجود والا فهي زائفة باطلة ضعيفة .

فالاسلام يعد المجتمع بالعلم إذ أنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، والعلم أساس القوة سواء أكان من ناحية المعدات والأسلحة المبتكرة أم من ناحية التدريب ودعاء المسلمين دائما :(**وقل رب زدني علما**)طه/ ١١٤ ثم انه يربي المجتمع على الحرية والكرامة الانسانية فالمسلمون في رعاية الله ما داموا أولياءه:(**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) يونس/ ٦٢ . ثم بين له حدود الكرامة

الانسانية (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) كما يربى المسلمين على الطاعة للقيادة ما دام القائد سائرا على منهج الله ـ (لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له واطيعوا) رواه مسلم .

ويربى الاسلام المجتمع على التعاون على الخير: (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**) المائدة/٢ . كما يطلب منهم عدم التنازع اذ أنه مدعاة للفشل (**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**) الانفال/٤٦ . ذلك لأن المؤمنين أخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر . ثم ان المسلمين تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

ومن الاشياء التي اهتم بها في تربية المجتمع الانضباط الذاتي الذي يكون السلوك فيه نابعا من الضمير ولذلك يقول الرسول الكريم : (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى) رواه البخارى وفي هذا المعنى يقول نابليون (ان المجتمع الذي لا يعتمد على قوة ذاتية ويتوقف العمل الجماعي فيه على قوة السلطة لا شك أنه يعتبر عبئا على المجتمع ومضيعة لقواه) .

والاسلام يربى المجتمع على حب الجهاد فالله سبحانه وتعالى هو الذي اختار هذه الأمة لتلك المهمة (**وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج**) الحج/٧٨ كما أنه يغير مفهوم الموت بالنسبة للشهداء فهم ليسوا أمواتا بل هم أحياء عند ربهم يرزقون ، وهذا يعطي للمجاهدين قوة دافعة يزيدها معرفتهم بأن الشهداء فرحون بما أتاهم الله من فضله:(**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) آل عمران/١٦٩ و ١٧٠ . فالقتال في الاسلام عبادة لأنه في سبيل الله (**الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله**) النساء/٧٦ والمسلم اذ يملأ نفسه بالرغبة في التقرب عن طريقه إلى الله سيقوم به وهو غير كاره له بل سيقوم به وهو متطلع الى يوم الالتقاء بالله عز وجل وبذلك لا يخشى على فوات شئ مما يرغب فيه الانسان في الدنيا كما لا يرهب الموت لأنه سيجد البديل عن ذلك عند الله ما هو خير وأعظم قدرا .

ويطلب الاسلام من المسلمين أن يبتعدوا عن الرفاهية لأنها ستقلل من كفاءتهم القتالية وتجعلهم غير حريصين على أداء واجبهم في الجهاد ، وقد كتب عمر بن الخطاب الى أحد عماله ببلاد العجم (اياكم والتنعم وزي العجم وعليكم بالشمس فانها حمام العرب وتمعددوا (تمعدد الغلام اذا شب وغلظ) واخشوشنوا

(تخشنوا في المطعم والملبس) واخشوشبوا (اخشوشب : صار صلبا كالخشب في أحواله وصبره على الجهاد) .

الاعداد المعنوي :

يقول فلاد زيفتر (ان القوة المعنوية من أهم المواضع في الحرب فهي بمثابة الروح الذي يسيطر على مجموعة عمليات الحرب) .

والاسلام يعد المسلمين الاعداد المعنوي الكامل عن طريق الصلة الدائمة بالله والتمسك بقيم الاسلام وبوضوح الهدف من القتال وبيان اعداء الاسلام وتأكيد أن النصر ليس غاية في ذاته ثم التحريض على القتال واختيار القائد الكفء للمعركة .

الصلة بالله :

ويبدأ الاعداد المعنوي بالاهتمام بأن تكون الصلة بالله قوية والايمان راسخا في النفوس ذلك لأن قوى الشر تعمل في هذه الأرض وهي مسلحة تبطش غير متحرجة فالمعارك الحربية في الاسلام ليست معارك أسلحة ورجال وعتاد وتدبير حربي فحسب بل انها معارك متكاملة ليست منعزلة عن المعركة الكبرى في عالم الضمير وفي عالم التنظيم الاجتماعي للجماعة المسلمة وهي ذات ارتباط وثيق بصفاء ذلك الضمير وخلوصه وتحريره من القيود التي تطمس شفافيته وتقعد به دون الفرار الى الله ثم هي ذات ارتباط بالأوضاع التنظيمية التي تقوم عليها حياة الجماعة المسلمة وفق منهج الله القويم الأمر الذي يقوم على الشورى في الحياة كلها وعلى التعاون والأمانة والعدالة وجعل الاسلام التطهر من الخطيئة بالاستغفار والتوبة وعدم الاصرار على الذنب وجعلها كلها مناط الرضوان فبهذا كله يتم اعداد الجماعة المسلمة للمعركة في نطاقها الواسع الذي يتضمن المعركة الحربية في اطار لا يقتصر عليها وبذلك يقرر القيم السليمة لحياة الجماعة الشاملة .

وضوح الهدف :

ولا بد من وضوح الهدف في ذهن المقاتل المسلم حتى يكون قادرا على الوقوف في المعركة بصلابة وشجاعة وبخاصة وان المعركة بين الخير والشر مستمرة ولا بد للايمان من قوة تحميه وإلا فان القوة المادية التي يملكها الباطل قد تزلزل القلوب وتفتن النفوس وللصبر حدود وللطاقة البشرية مدى تنتهي اليه والله أعلم بقلوب الناس ولذلك فقد أذن للمسلمين في القتال لرد العدوان وأعلمهم بأنه سيتولى الدفاع عنهم ما داموا في طاعته ... وقد حكم لهم بأحقية دفاعهم عن أنفسهم وعن دينهم فهم مظلومون غير معتدين: (**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير**) الحج/٣٩ وما دام الأمر كذلك فعلى المؤمنين أن يطمئنوا إلى نتائج المعركة فهم مندوبون لمهمة انسانية يعم خيرها الجميع وفيها ضمان لحرية العقيدة وحرية العبادة للمسلمين ولغير المسلمين ، والمهمة

منوطة بالمسلمين وحدهم:(**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا**) الحج ٤٠ والمقاتلون يحسون بأنهم مسئولون عن حماية دور العبادة لجميع الاديان لما لهم من القوامة على المجتمعات كلها بحكم وضعهم الاسلامي . اذ أن مقتضى الايمان الاستعداد للجهاد تحقيقا لمهمة المسلم في هذه الحياة ، والله سبحانه وتعالى هو الذي اختار المسلمين لهذه المهمة الانسانية السامية فهم خير أمة أخرجت للناس وهم الأمة الوسط التي اجتباها الله لتكون شهيدة على الناس ويكون الرسول شهيدا عليها لذلك أمرهم الله بالجهاد:(**يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج**) الحج/ ٧٧ و ٧٨ وفي نظير ذلك كله وعدهم الله الجنة:(**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**) التوبة/١١١ .

أعداء الاسلام :

والاسلام يبين للمسلمين أعداءهم حتى يكونوا على بينة من أمرهم فمن الاعداء اليهود والنصارى فهم لن يرضوا عن المسلمين الا اذا ترك المسلمون دينهم يقول الله تعالى (**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**) البقرة ١٢٠ . فهي معركة العقيدة في صميمها وان كنا نلاحظ أن المعسكرين العريقين في العداوة للاسلام يلونان المعركة بألوان شتى ذلك لأنهم جربوا حماسة المسلمين لدينهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة ولذلك فقد غيروا أعلام المعركة وأعلنوها بأسماء أخرى كالسياسة والاقتصاد والارض والمراكز العسكرية وأفهموا المسلمين أن مسألة العقيدة لا يجوز رفع رايتها لأنها سمة المتخلفين بينما هم في قرارة أنفسهم يخططون لمعركة تحطم هذه الصخرة العاتية ويظهر ذلك في أقوال قوادهم عقب كل معركة ينتصرون فيها ... ويدخل في عداد أعداء المسلمين اليوم أصحاب الاتجاه الوجودي أو الانتهازي او الحسى فالمادية كلها تنكر وجود الله وفلسفة المادية التاريخية تقوم على أساس تحدي الدين والذين يقيمون مجتمعاتهم عليها يقاتلون المؤمنين حتى يردوهم عن دين الله ان استطاعوا والله سبحانه وتعالى يقول : (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب**) التوبة/ ٢٩ . والذين لا يدينون دين الحق هم الذين يعملون تحت راية العلمانية ومنهم الذين ينكرون قيمة الدين عمليا بأن يحددوا للدين منطقة ولفلسفة الحياة منطقها فهم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولكنهم لا يقولون ذلك وهم لا يحرمون منكرا

ولا فاحشة فالماديون الملحدون أو المشركون يقفون من المسلمين موقفا فيه تحرش وتحد فهم يواصلون القتال ضد المسلمين : (**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**) البقرة/٢١٧ . وهم ان ظهروا على المسلمين أباحوا ما يرونه لصالح أنفسهم ولو كان ضارا بغيرهم ، ومن ذلك انتهاك الأعراض والاموال والانفس والاذلال والارهاب والتحكم في الآخرين طالما كان في ذلك صيانة لمصالحهم الشخصية (**كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة**) التوبة٨ . وفي حالة السلم ميولهم عدوانية وان ظهر من أفواههم ما يرضى المؤمنين فهو نفاق ، وهم يصدون عن سبيل الله ، ويمنعون بكل وسيلة أن يؤمن به احد ، فغايتهم اضعاف الاسلام وابعاده عن مجال التأثير في حياة الناس ان لم يكن الغاؤه من الوجود الانساني .

النصر ليس غاية في ذاته :

المسلم مطالب بأن يبذل أقصى ما في وسعه وأجره على الله سواء استشهد أم انتصر: (**فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما**) النساء/٧٤ . فالاسلام يربى المسلمين على التحكم في درجة التذبذب العاطفي إذ أن النصر والهزيمة ليست لهما الأهمية الكبرى ما دام المسلمون قد أدوا ما عليهم من واجب . وللمعارك ميزة فهي تميز الخبيث من الطيب وتبين الصادقين في إيمانهم من الكاذبين (**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**) العنكبوت/٢و٣ والنصر الاسلامي يتسم بالتوازن المطلق بين تقرير الفاعلية المطلقة لقدر الله سبحانه وتعالى وتحقيق هذا القدر في الحياة الانسانية من خلال نشاط الانسان وفاعليته وعمله ، ذلك لأن مشيئة الله سبحانه وتعالى تجري بترتيب النتائج على الأسباب ولكن الأسباب ليست هي التي تنشئ النتائج فالفاعل المؤثر هو الله والانسان مع ذلك مطالب بأن يبذل أقصى جهده وأن يفى بالتزاماته وبعد ذلك يرتب الله النتائج ويحققها ولعل هذا هو معنى قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) محمد/٧ . وبذلك يخلص تصور المؤمن من التماس شئ عند غير الله ويتصل قلبه مباشرة بالقوة الفاعلية في هذا الوجود ... ومن هنا فان الاسلام يقرر للجماعة المسلمة أنه ليس لها من الأمر شيء في النصر اذ أنه يتم بتدبير الله لتنفيذ قدره . وهذا يتم من خلال جهاد الامة الاسلامية والاجر على الله ، أما ثمار النصر فهو لحساب العقيدة التي يدافعون عنها والأهداف التي يحاولون تحقيقها ـ وكذلك الهزيمة التي إذا وقعت لسبب أو لآخر وفق ما يقع من الجماعة

المسلمة انما يقع ذلك كله لتحقيق غايات يقدرها الله بحكمته لتمحيص النفوس وتميز الصفوف وتجلية الحقائق واقرار القيم واقامة الموازين

والهزيمة الوقتية قد يأخذ المسلمون منها درسا لمعركة مقبلة بعد ابعاد عناصر الضعف التي سببت الهزيمة وهي عادة عناصر الرغبة في المتع المادية والأسباب الشخصية . وعلامة الايمان الحقيقي ألا يضعف المسلم ولا يهن ولا يحزن:(**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين**) آل عمران/١٣٩ وبذلك يتم نضج المسلمين أثناء المعركة ، والنصر السريع الذي لا يكلف عناء قد يعطل طاقات المؤمنين عن الظهور لأنه لا يحفزها ، وهو رخيص الثمن سرعان ما يضيع لأن الذين نالوه لم تدرب قواهم على الاحتفاظ به ... والقتال مجال تدريب على التضحية بالنفس في سبيل الله وبمقدار ما يخلص فيه المؤمن لله بمقدار ما يهون عليه أن يضحى بذاته في سبيلها (**ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض**) محمد/ ٤ . والنصر قد يبطئ حتى تبذل القوة المؤمنة آخر ما في طوقها فتدرك أن هذه القوة وحدها بدون سند لا تكفل النصر . وقد يبطئ لتزيد الجبهة المؤمنة صلتها بالله ، وهي تقابل الصعوبات بدون أن تجد لها سندا الا الله فتسير على النهج أثناء المعركة وبعد النصر وقد يبطئ لأن المسلمين لم يتجردوا بعد في كفاحهم وتضحياتهم لله فهم يقاتلون لمغنم مادي أو أدبي أو يقاتلون حمية او شجاعة أو لأن أعداءهم لا زال فيهم بقية من خير يريد الله سبحانه وتعالى أن يجرد الشر منها أو لأن الباطل لم ينكشف زيفه تماما فلو غلب المؤمنون حينئذ فقد يجد الشر له أنصارا من المخدوعين يؤمنون به ويدافعون عنه أو لأن البيئة لم تصلح بعد لاستقبال الاسلام بما فيه من قيم ومثل وأخلاق .

التحريض على القتال :

من الأسلحة المعنوية التحريض على القتال وهو يجعل المقاتلين يفهمون أسباب المعركة والدوافع اليها والنتائج المترتبة على النصر او الهزيمة ـ وبيان ان العدد لا اهمية له ما دامت الوجهة مستقيمة ذلك لأن الله يتولى نصر المؤمنين ما داموا قد أدوا واجبهم كاملا يقول الله تعالى : (**يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون**) الانفال/٦٥ . وفي معركة مؤتة قال عبد الله بن رواحة لجنوده : (يا قوم والله ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فانما هي إحدى الحسنيين إما ظهور واما شهادة . وبهذا يكون الاسلام قد استبدل نظرية الكم بنظرية الكيف التي تقوم أساسا على الرجال المقاتلين المؤمنين بمبادئهم وقد شخص مونتجمري قائد قوات الحلفاء

في الحرب العالمية الثانية أثر انعدام الناحية المعنوية في هزيمة الجيش الثامن فقال : (لقد جئت لأتولى قيادة الجيش الثامن فراعني ما وجدت ـ وجدت جيشا مهزوما ممزقا يلعق جراحه فوق رمال الصحراء الساحقة . كان العتاد لا يكفينا وكانت كميات الطعام التي تصل الينا لا تفي بحاجة الجنود ولكني لم آبه كثيرا بهذا النقص الذي نعانيه ـ كنت أدرك حقيقة واحدة وهي أن الغذاء الوحيد الذي يحتاج اليه جنودي هو الغذاء الروحي كانت مشكلتي الاولى هي : كيف أرفع من روحهم المعنوية فبدون هذه الروح لا يمكن لأي جيش أن يحقق انتصارا مهما كانت الخطط العسكرية ناجحة وموفقة) .

والروح المعنوية العالية تعطي صاحبها مناعة ضد الحرب النفسية فلا تؤثر فيها أحرج المواقف ففي غزوة الاحزاب مثلا يعطينا القرآن الكريم صورا لأصحاب المعنويات العالية الذين لا يتأثرون بالحرب النفسية فقد أشيع أن الاحزاب قد أتوا من كل جانب بقوات لا يقدر أحد على مقاومتها فما زادهم ذلك الا ايمانا (**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**) آل عمران/١٧٣ . وحين رأى المسلمون بأعينهم الأحزاب الذين جاءوا لسحق المسلمين نهائيا لم يتأثروا ولم يهنوا ولم يضعفوا بل قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ولم يزدهم ذلك إلا إيمانا :(**ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما**) الأحزاب/٢٢ .

إختيار القائد :

واختيار القائد له أهمية عظمى في سير المعركة ، والقائد لا يختار في الاسلام إلا على أساس الكفاءة وحدها ، ومن هنا فقد اختار النبي الكريم اسامة بن زيد الشاب الصغير قائدا لجيش فيه بعض كبار الصحابة فاساس روح القيادة نجدها في شخصية قائدها وثقته الاكيدة بنفسه وحبه للنظام وهو ما يسمى بلغة العصر بالضبط والربط ـ والثقة التي يضعها الجنود في قادتهم وفي اسلحتهم لها تأثير كبير في نصرهم ـ وللقيادة تأثير على نفوس الافراد فما زالت الجنود تتفاعل بالقائد المنتصر وتتطير من القائد سيىء الحظ ولقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لمن طلب منه إقصاء خالد بن الوليد لأسباب ذكرها : (والله لا أغمد سيفا سله الله على الكافرين) والقائد الناجح يختار ميدان المعركة ويأخذ زمام المبادرة في يده ويستخدم كل أنواع الأسلحة التي تصلح لميدان المعركة والنبي الكريم حارب قريشا في منطقة صحراوية مكشوفة ـ وحارب اليهود في حصونهم وحارب هوازن في وادي حنين ـ وتحرك الجيش الاسلامي من المدينة الى تبوك في أعظم مسيرة شهدها تاريخ الحرب فوق

رمال ساخنة وتحت شمس حارقة في بيئة صحراوية لا ماء فيها ولا ظل – واستخدم كل أسلحة الحروب التي كانت معروفة في ذلك الوقت كما أدخل في تنظيماته أسلحة جديدة كان يستخدمها أعداؤه كالمنجنيق القاذف للنفط والسهام – والدبابة وهي آلة من الخشب المغلف بالجلود أو اللبد تركب على عجلات ويحتمي بها المشاة من نبال العدو وتستخدم في هدم الأسوار والحصون ...

ورسم الاسلام خطة للقائد في عمله فطلب أن يقاتل الجيش الاسلامي قيادة الكفار ورءوسهم المدبرة للعدوان فيهم وعندئذ يضعف شأن الباقين منهم مهما كثر عددهم وهذا تكتيك ليسر القضاء عليهم (**فقاتلوا أئمة الكفر انهم لاأيمان لهم لعلهم ينتهون**) التوبة/١٢ .

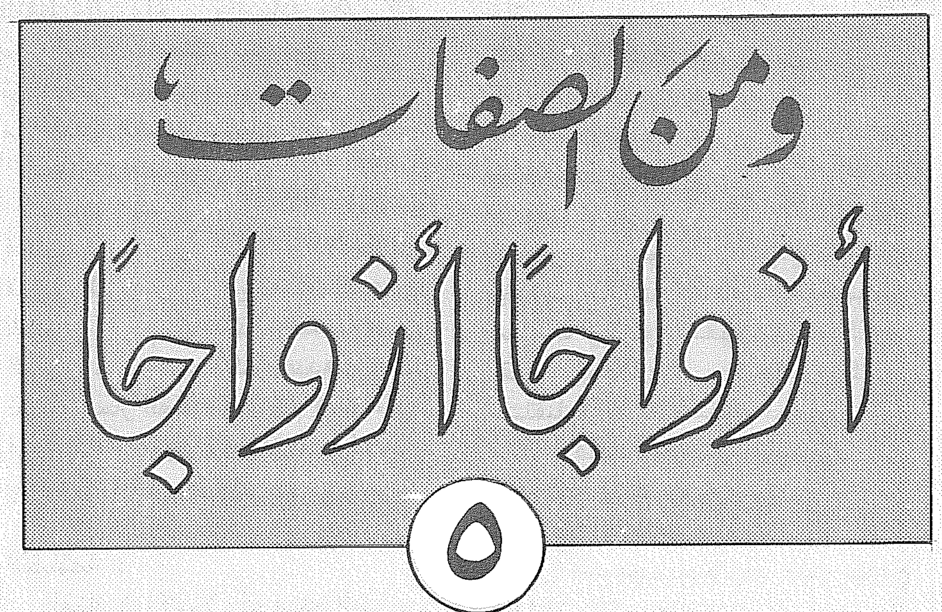
الخاتمة :

القتال في الاسلام له هدفه السامي الذي يحدده القرآن ليرفع من مستوى الانسانية وليقيم العدالة في هذه الأرض – وكان النبي صلوات الله عليه يعاقب في حروبه بمثل ما عوقب به ولا يجاوزه الى اللدد في الخصومة ، فاذا انتهت الحرب على عهد من العهود وفي به وطلب من أتباعه أن يفوا به في غير إغلال ولا مراوغة وثابر على الوفاء في جميع عهوده .

ولقد شهد للاسلام كثيرون من غير المسلمين يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : « ان القوة لم تكن عاملا في نشر القرآن وان العرب تركوا المغلوبين أحرارا في أديانهم فاذا كان بعض النصارى قد أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس بمثله عهد – والحق ان الغرب لم يعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب) والكونت هنري دى كاسيرى يقول : « ان المسلمين امتازوا بالمسالمة وحرية الافكار وفي المعاملات ومحاسنة المخالفين » .

وقد اشتهر المسلمون بأنهم يحررون الشعوب من عبودية الحكام وظلمهم فكانت الشعوب تفتح لهم صدرها وتتعاون معهم تعاونا كاملا يقول مونتجمري : « المسلمون كانوا يستقبلون في كل مكان يصلون اليه باعتبارهم محررين للشعوب من العبودية وذلك لما اتسموا به من تسامح وإنسانية وحضارة فزاد إيمان الشعوب بهم وقد ظلت جميع المناطق التي فتحها المسلمون في القرن السابع حتى يومنا هذا – ما عدا أسبانيا – تحتفظ بالدين الاسلامي وكذلك بالعادات والتقاليد والزي الاسلامي » .

وهكذا ينال الاسلام شهادة أعدائه قبل أصدقائه في تحقيق رسالته الكبرى في هذا العالم في جميع الأماكن وفي جميع الأزمان . وهكذا يربى الاسلام أبناءه التربية العسكرية التي تجعلهم يحققون الهدف منها في إحقاق الحق وإبطال الباطل ونشر الامن والعدالة والطمأنينة .



لا شك أن كل من يتعمق بالبحث والدراسة في نظم الله ، وعلى الأخص فيما يتعلق بمكونات الحياة ، لا شك انه سيرى فيها من آيات الله ، مالا يستطيع غيره أن يراه !

وإذا تسلح الانسان بالعلم والايمان ، ثم اقبل على قراءة القرآن ، قراءة من يغوص الى الأعماق ، بحثا عن لآلىء « أو » « جواهر » الحقيقة ، لكان ذلك فتحا في عقله ولنفسه مبينا ، اذ سيكتشف أن العلم لا يتعارض مع القرآن ، حتى ولو قال المتقولون غير ذلك .

ولقد أعطتنا بعض آيات القرآن التشجيع الفكري لكي نبرهن على ذلك ، خاصة وأن بعض المفسرين كانوا يتعرضون لشرح بعض هذه الآيات شرحا لا يتسم بالعمق والأصالة ، لان هذا العمق يستلزم تطور المفاهيم والادراك بما يجري الآن في عصرنا من منجزات علمية هائلة ، تحتاج الى متخصصين لهم اطلاعات واسعة ، ذلك أن العلم الآن ينطلق كبحر هادر ، حتى ليكاد يكتسح العقول اكتساحا ، فلا تدري أيها تختار منه ، وأيها تقرأ وتستوعب .

للدكتور عبد المحسن صالح

وطبيعي أن العلوم التطبيقية والنظرية والطبيعية تبحث أساسا فيما خلق الله من نظم كامنة في ذرة .. أو في خلية .. أو في مخلوق .. أو في أرض ونجوم وسماوات ، وكلما تقدمت هذه البحوث أكثر ، وتعمقت أكبر ، أظهرت لنا قدرة الله أعظم ، وعندئذ يحق القول الكريم بكل كلمة وحرف فيه : **(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)** فصلت/٥٣ **(أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق)** . الروم/٨ .

على أننا لن نتعرض هنا لشرح هذه النظم والآيات التي أودعها فينا الله ، فلهذه حديث آخر طويل ومتفرع ومثير ، لكننا سنعود الى موضوعنا الاساسي الأعمق ، وهو الذي تعرضنا فيه قبل ذلك ، ومن خلال أربع دراسات متصلة لمعنى خلق الزوجين أو الازواج التي أشار اليها القرآن من قديم الزمان ، وبهذا يكون قد سبق العلوم الحديثة التي جاءت مصدقة لما فيه من اشارات وتلميحات يمر عليها المفسرون مر الكرام .

ولقد تناولنا في الدراسات السابقة على صفحات هذه المجلة الغراء بعض الآيات الدالة على خلق الازواج أو الزوجين ، فكانت الجسيمات أزواجا أزواجا ، والاكوان أزواجا أزواجا ، والخلايا أزواجا أزواجا ، والامشاج أزواجا أزواجا ، ثم تساءلنا في الدراسة الرابعة عن الأمشاج التي من داخل أمشاج ، أو الازواج من داخل أزواج ، مصداقا لقوله تعالى : **(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)** يس/٣٦ .. وقوله جل من قائل : **(ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)** الذاريات/٤٩ الى اخر هذه الآيات البينات التي تعرضت للأزواج أو الزوجين في مواضع كثيرة ، وبمعان عديدة ، حتى ولو جاءت هذه المعاني من علومنا الحديثة التي تبحث في طبائع الكون والحياة ، فاذا بها تكتشف ما في القرآن من عطاء غير محدود « لقوم يتفكرون » .

باختصار شديد نقول : ان خلقنا قد جاء خلقا من داخل خلق من داخل خلق .. وهكذا ، فمن الخلايا كانت بدايتنا ونشأتنا ، والخلايا في بداية خلق كل كائن جاءت زوجين ، وفي داخل الخلية أمشاج أو كروموسومات أو اخلاط ، وهذه بدورها جاءت زوجين (شكل ١) ،

● ومن الأمشاج أزواجا أزواجا .. وهي للانسان
وترى ٢٢ زوجا + زوج ذكورة y وانوثة ×

ثم اذ بالعلم الحديث ، والبحث العميق يكتشفان ايضا أن هذه الأمشاج بدورها ليست إلا خرائط دقيقة غاية الدقة ، وأنها لن تظهر على حقيقتها إلا اذا كبرناها بالمجاهر مئات وآلاف المرات ، وعندئذ يتضح لنا أن على هذه الأمشاج أو الخرائط أو السجلات الوراثية مواقع محددة تبدو كحبات العقود المتراصة ، وأن هذه « الحبات » قد جاءت بدورها أزواجا .. « من كل شيء خلقنا زوجين » !

لكن .. ماذا تعني هذه « الحبات » أو العقد أو الخطوط المتراصة ، وهي التي نرى منها هنا صورة التقطها العلماء من تحت العدسات ، لنطلع على جانب من مواطن الامور التي تدق على العيون .. عيوننا ؟ (شكل ٢) .

الواقع أن هذه « الحبات » قد جاءت لتكون بمثابة السجلات العظيمة المدونة في « لوح » الخلية المحفوظ ، وكل حبة أو سجل منها بمثابة لغة خاصة جدا ، لتورث المخلوقات شيئا من صفاتها التي أوجدها الخالق عليها ، وحفظها في « قرار مكين » !

ولماذا جاءت هذه الحبات أو السجلات على أمشاجها أزواجا أزواجا ؟.. ثم أو ليس هذا تكرارا لا مغنم من ورائه ولا طائل ؟

ليس ذلك تأكيدا ، فمن وراء مجيء الحبات زوجين زوجين ، ثم انتظامهما بالآلاف والملايين على الأمشاج ـ دائما زوجين زوجين ، من وراء ذلك كان اختلاف ألواننا وأصواتنا وأشكالنا وطبائعنا وبصماتنا وطولنا وقصرنا وشكل ولون شعورنا وعيوننا .. وكل صغيرة وكبيرة فينا ، وكل هذه الصفات لا يمكن أن تقوم إلا على أساس الزوجين ـ من البداية حتى النهاية ، وهذا ما يقوله العلم الحديث ، وهو نفس ما أشار اليه القرآن تلميحا أو اختصارا : (**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم**) الروم/٢٢ (**ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك**) فاطر/٢٨ (**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها**) فاطر/٢٧ (**ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه**) الزمر/٢١ .

الى آخر هذه الآيات التي تشير الى اختلاف الصفات في كل الكائنات ، ثم إذا رجعنا أيضا الى آيات أخرى ، في مواضع متفرقة ، لوجدناها تشير الى خلق الزوجين في الفاكهة والثمرات والأنفس والأشياء ، أو من كل ما تنبت الأرض من مخلوقات ، أي أن الأزواج هي المرجع الأول والأخير في تحديد الصفات في كل ما نرى ، ومالا نرى .. ظاهرا وباطنا ، فأما الظاهر فمعروف ، وأما الباطن فعلينا بيانه ، وعلى قدر ما علمنا ، إذ أن « فوق كل ذى علم عليم » !

لا شك أن للقرآن ظاهرا وباطنا !

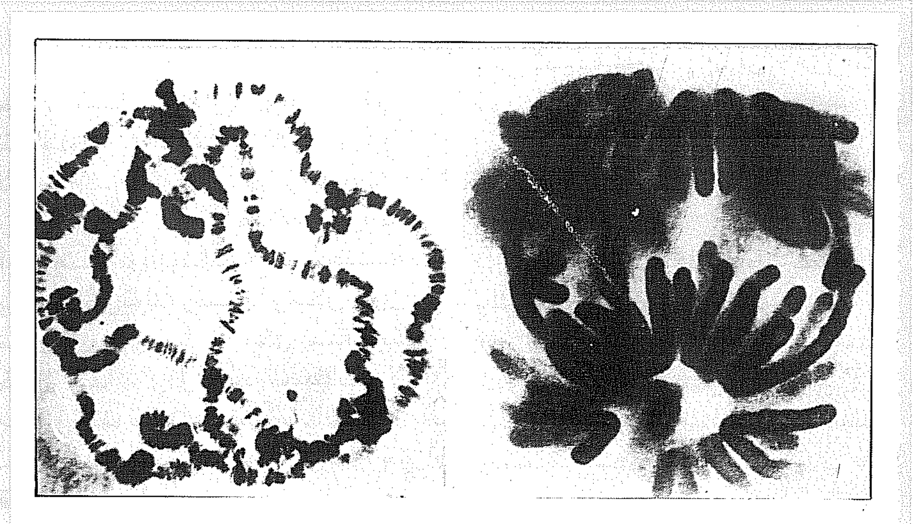
وكذلك أنت .. فلك باطن وظاهر ، والباطن يؤدي دائما الى الظاهر ، أي أن الظاهر قد جاء تعبيرا مجسدا لمعلومات عظيمة ودقيقة تكمن في الباطن ، وباطن الباطن في خلقنا وصفاتنا يتجلى بطريقة مثيرة في هذه الحبات التي تراصت أزواجا على أمشاجها ، والتي جاءت ـ أي الأمشاج ـ بدورها أزواجا (انظر بحثنا في العدد السابق بعنوان : والأمشاج أزواجا أزواجا) .

ولكي نوضح اكثر ، دعنا نضرب مثلا ومثلا .

ـ اذا تزوج القزم من قزمة ، فلا تنتظر أن تخلفهما ذرية من العمالقة ، بل لا بد أن تكون الذرية أقزاما ، نزولا على أحكام قوانين الوراثة (لاحظ أنها هنا قوانين ، لأن القانون لا ينبع الا من نظام دقيق) .

ـ الزوج الأشقر ، والزوجة الشقراء ، ينجبان ذرية شقراء ، وكذلك كان للسود ذرية سوداء ،وللصفر صفراء ... الخ ... الخ .

أو قد يتزوج الأسود زوجة



● الى اليمين الأمشاج أو الكروموسومات تهاجر الى قطبي الخلية أزواجا (في عملية الانقسام) ، والى اليسار تظهر الجينات كحبات على الأمشاج وهي أيضا جاءت أزواجا لتتزاوج بدورها .

بيضاء ، أو العكس ، وعندئذ تأتي المواليد بنسب متفاوتة بين الأسود والأبيض ، أي منهم البيض ، ومنهم السود ، او ما بين ذلك تأتي المواليد ..

أو قد يتزوج الرجل السليم بزوجة تحمل مرضا وراثيا ، أو يتزوج الرجل المريض بمرض وراثي من زوجة سليمة ، وعندئذ ينتقل المرض ، ويعبر عن نفسه في نسبة المواليد !

ومن هذا المنطلق أيضا نرى الدول المتقدمة في مضمار الحضارة تجري كشفا دقيقا على الأزواج لاكتشاف أية عاهات وراثية ، ، لتعلم بها الزوجة أو الزوج قبل الزواج ، ولهما الحرية بعد ذلك في الارتباط ، لكن الأطباء ينصحون بعدم إنجاب ذرية في حالات خاصة ، والا كانت خلفة هذه الذرية مأساة تشقى الوالدين بدلا من أن تسعدهما (شكل ٣) .

الموضوع طويل جدا ، وكتبت فيه مجلدات من فوق مجلدات ، لكن يكفينا هذه المعلومات البسيطة التي ذكرناها تلميحا لا اسهابا ، فليس هذا مجالها ، تماما كما يلمح القرآن الكريم عن فكرة خلق الأزواج باشارات مقتضبة ، حتى يجنب الذين سبقونا بمئات السنين أمورا علمية فوق ادراكهم ، وربما ترك ذلك



● خطأ وراثي أدى الى البلاهة اذ حدث أن زادت الأمشاج فيه اثنين (وهما المشار اليهما بسهمين) .

لأجيال قادمة أو حاضرة ، ليروا فيها علوما أصيلة ، وهو ما سبق الاشارة اليه بقوله تعالى : (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**) ! فصلت/ ٥٣ .

* * * *

لقد كان أول من كشف لنا عن سر قوانين الوراثة بطريقة تجريبية منظمة رجل دين مسيحي يدعى جوهان مندل (١٨٢٢ـ١٨٨٤) ، ثم سمي فيما بعد بالأب جريجوري .. المهم أنه درس الصفات الوراثية لنبات البازلاء ، واستمر في بحثه سنوات طويلة ، يحدوه الصبر والثقة وحب الكشف عن الأسرار الكامنة وراء هذه الظواهر التي يراها مجسدة في ألوان وزهور وحبوب وأوراق وغير ذلك من صفات ، ولم يخرج مندل ببشائر قوانين الوراثة إلا بعد أن قام بفحص اكثر من اثنتي عشر الف عينة من العينات التي كان يزاوج بينها ، ويسجل صفاتها وصفات ذرياتها جيلا من وراء جيل من وراء جيل .. وهكذا .

كان مثلا يزاوج بين نبات ذي زهور حمراء مع آخر ذي زهور بيضاء ، أو بين نبات ذي بذور مستديرة وآخر ذي بذور كلوية أو مستوية أو مجعدة الشكل ، أو بين نبات طويل ، وآخر

قصير .... الخ ... الخ ، ثم يسجل صفات الأجيال الجديدة ، وكيف تتخلى عن بعض صفاتها ، أو تحافظ عليها ، أو تأتي الصفات معبرة عن كلا « الأبوين » ، أو قد تبقى الصفة الوراثية كامنة لأجيال ، ثم تراها تعبر عن نفسها بعد طول غياب ، وهو ما يحدث أيضا في عالم البشر ، اذ يأتي الوليد بعينين زرقاوين ، رغم أن عيون والديه لا تحمل هذه الصفات كذلك لو بحثت في سجلات الأجداد ، لو جدت أن صفة العيون الزرق كانت موجودة في جدود الأم وجدود الأب ، وظلت الصفة محجوبة الى أن عبرت عن نفسها بعد أجيال طويلة .

المهم أن مندل كان فعلا مؤسس علم الوراثة ، لكن أحدا لم يكتشف هذه الحقيقة الا بعد أن مات مندل بسنوات طويلة ، اذ تبين أنه يمكن التنبؤ ببعض صفات الأجيال من خلال قوانين الوراثة ومعادلاتها ، لكن كل هذا قد لا يهمنا هنا في موضوعنا بقدر ما يهمنا أن نعرف باطن هذا الظاهر ، وحكمة وجود الحبات أو العقد الوراثية على الأمشاج أزواجا .

* * * *

الواقع أن مضمون كل صفة من صفات المخلوقات تكمن بطريقة خاصة في هذه الحبات ، فالحبة هنا بمثابة معلومة « مكتوبة » بعناصر هذه الأرض ، ولن نتعرض لهذه الحقيقة هنا الآن ، وسنؤجلها لدراسة قادمة ، لأن « الكتابة » الكيميائية هنا قد جاءت أيضا على أساس فكرة الزوجين التي عبر عنها القرآن الكريم أعظم تعبير .. (**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) !

ولقد جاءت هذه الحبات ازواجا أزواجا في الانسان وكل الكائنات ، لا يختلف في هذا القرد عن الباذنجان عن الحية عن الدودة والسبانخ والتفاح .. الخ ، فكلها نشأت بفكرة واحدة ، لأنها جاءت من خالق واحد ، ولو كانت من عند آلهة متعددة ، لوجدنا فيها اختلافا كبيرا ، لكننا نرى تجسيد الوحدانية في وحدة الخلق العظيم .

وسبب مجيء الحبات او الخطط الوراثية أزواجا أزواجا ، أن لها أصلا وأساسا ، فلا شيء يأتي من لا شيء ، اذ مما لا شك فيه أن حبة أو خطة منها جاءت من الانثى ، ومثيلتها تماما جاءت من الذكر ، ثم ان الذي يحدد صفات الانسان ويميزها عن صفات أي كائن حي آخر في مملكتي النبات والحيوان هي مجموعة هذه الحبات التي تكون « قاموسا » مستقلا على أدق ما تكون القواميس ، أو قل انه « الميكروفيلم » الذي يحوي كل التفاصيل التي يمكن أن يأتي بها الكائن الحي .

وطبيعي أن لهذه الحبات اسما علميا ، واسمها في المراجع الجينات ، مفردها جينة gene وهي تعني وحدة الوراثة ، او المورثة التي تورثك صفة واحدة محددة ، ويقدر علماء الوراثة أن خلق كل صغيرة وكبيرة في الانسان تهيمن عليها ما بين عشرة آلاف الى خمسين ألف جينة ، وهذا في الواقع تقدير جزافي ، لأننا لم نعرف العدد بالضبط ، لكنه لا يقل ولا يزيد عن الرقمين المذكورين .

لنفرض هنا أن خلية الانسان تحتوي على عشرين ألف جينة أو مورثة ، عندئذ ، ومن عملية حسابية جد بسيطة يمكن القول بأن نصفها – أي عشرة آلاف جينة لا بد وأن تكون قد جاءت من خلية جنسية انثوية (البويضة) ، والعشرة آلاف جينة الأخرى لا بد وأن تكون قد جاءت من خلية جنسية ذكرية (الحيوان المنوي) ، وفي هذه الآلاف من الجينات تكمن صفات الأم وصفات الأب أزواجا أزواجا ، وجنبا الى جنب في نواة كل خلية جسدية ، وأحيانا ما تعبر جينة من الأب عن نفسها تعبيرا يفوق نظيرتها أو قرينتها أو مثيلتها من الأم ، وعندئذ يكتسب الوليد صفة الأب ، أو قد يكون العكس ، فيكتسب صفة الأم ، أو قد يشترك الزوجان على مستوى الجينات في التعبير بالتساوي عن صفة من الصفات ، فيخرج المولود مكتسبا صفة والديه معا ، بمعنى أن الأب لو كان طويلا ، والأم قصيرة ، فأن المولود يجيء وسطا بين أمه وأبيه ، أو شبيها بذاك أو تلك !

وما يجري على الطول والقصر ، يجري أيضا على البدانة والنحافة ، ولون الشعر والعينين والبشرة ، وتقاطيع الوجه ، والبصمات ، وكل صغيرة وكبيرة مما نرى ، ومما لا نرى .

أي أن هذه الأخلاط بين المورثات الكائنة أزواجا على الأمشاج هي المرجع الحقيقي لكل صفة من الصفات ، ولهذا نقول في أوساط الوراثة إن هذه الصفة سائدة ، او متنحية (بمعنى أنها لا تعبر عن نفسها لتتضح كصفة من صفات المخلوق) ، ومن حصيلة التعبير في هذه الوحدات أو الجينات التي جاءت أزواجا أزواجا ، يكون قدر المخلوق في الحياة ، ، وفي هذا يقول الله عز وجل : (**(إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه)** الانسان/٢ ، وهو تعبير دقيق لعملية خلط المعلومات الوراثية التي تمثل الأبوين أدق تمثيل .

على أن عملية خلط الأمشاج في خلق الانسان ، أو غيره من كائنات ، عملية من أروع وأدق ما قابله العلماء حتى الآن ، أضف الى ذلك أنها مفعمة بأسرار أكبر من كل ما تتصوره عقول البشر ، حتى ولو اجتمعت لها لتدركها ، وما هي بمدركتها !

ولكي نوضح ذلك ، دعنا نقدم مثلا من الأمثلة التي تتردد في مراجع العلماء ، فهاهما عالما الخلية والوراثة وليام ماكلروى وكارل سوانسون يذكران في كتابهما « البيولوجيا الحديثة لعلم الخلية » انه لو لم تخلط هذه الجينات الكامنة على الكروموسومات ، لما اختلفت طبائع الناس كل هذا الاختلاف ، ولولاه أيضا ، لأصبحت الوجوه صورة واحدة مكررة ، ولما رأينا في البشر تباينا ، ولركدت الحياة (شكل ٤) .

ثم نراهما يضربان مثلا يوضحان لنا فيه عظمة فكرة الخالق في خلقه ، تلك العظمة التي لا يقدرها الناس حق قدرها ، بدليل قوله تعالى : (**وما قدروا الله حق قدره**) الانعام/٩١ ، فماذا قالا في مثلهما الذي استخلصاه من نظم الحياة ؟

يقولان : « لما كانت الصفات الكامنة على الجينات تختلط أزواجا في عملية الاخصاب ، فان احتمالات عدد مرات الخلط بينها يزيد بزيادة عددها ، ولنفرض هنا أن الخلية في الانسان كانت تحتوي على ألف جينة أو مورثة لا غير ، وهو تقدير متواضع ، لكن دعنا نتعامل مع هذا الرقم المتواضع لنعرف النتيجة .

النتيجة أن عدد احتمالات الأخلاط هنا ستكون حصيلة الرقم ٢



● من خلط الصفات أو الجينات تنتج بلايين فوق بلايين من البشر ذوى القسمات والألوان والطباع المختلفة ، وبحيث لا يتشابه اثنان تشابها مطلقا (عدا التوائم المتماثلة) . ذلك أن الصفات أو الجينات قد جاءت أزواجا .

مضروبا في نفسه ألف مرة ، والحق ان الرقم الناتج لا شك سيكون اكبر من عدد الذرات الموجودة في كل الأكوان بأضعاف مضاعفة !

يعني هذا أن تكرار ظهور انسان شبيه بانسان آخر شبها مطلقا غير جائز الا مرة واحدة في بلايين بلايين بلايين بلايين .. وأضف من بلايين الاحتمالات بعد ذلك ما تشاء ، فالرقم اكبر مما تتصوره عقول البشر .

هذا فقط هو ناتج الاخلاط بين ألف جينة ، فما بالنا لو كانت هذه الأخلاط تتم بين عشرين ألف جينة جاءت من زوجين (أي ذكر وأنثى) ، لتختلط وتعطي مولودا ليس كمثله شبيه ؟

هذه الأكداس الهائلة من المعلومات التي تتبادلها الجينات أزواجا أزواجا تجعلنا نحني عقولنا خشية وخضوعا ، لكن مهما خشعنا ، فلن نقدر العظمة الالهية حق قدرها .

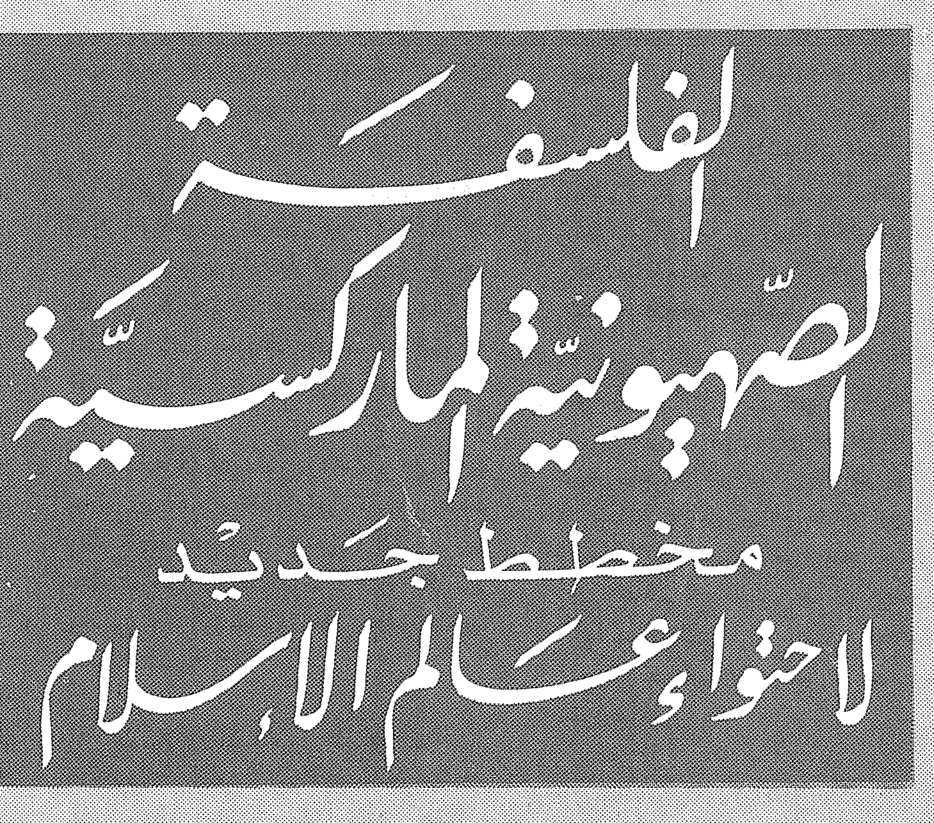
ومع ذلك نرى الله سبحانه وتعالى يعبر عن الخلق أروع وأبسط تعبير فيقول : (**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**) لقمان/٢٨ .. وقوله : (**ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**) الملك/٣ ومن يدرس الكائنات الحية ، سوف يجد في اختلاف أشكالها وأنواعها وأحجامها وألوانها وطبائعها وضخامة أعدادها ما يجعله يتوه ، فلا ينتهي من حصرها أبدا (أكثر من مليوني نوع) ، ومع ذلك فهي جميعا جاءت من فكرة واحدة لا تفاوت فيها – أي الفكرة – ولا تباين ... فهي تبدأ كلها من خلية ، في داخلها نواة ، في داخلها أمشاج ، في داخلها جينات ، وكلها جاءت أزواجا أزواجا .

وماذا بعد ،.. ألم ننته حقا من هذه الأزواج التي هي داخل أزواج فأزواج ... الخ ؟ الواقع أننا انتهينا هنا بوحدة الوراثة أو المورثة أو الجينة ، لكنها ليست خاتمة المطاف ، صحيح أنها جاءت أزواجا على الأمشاج التي كانت بدورها أزواجا ، لكن في داخل الجينة أو المورثة بنايات أدق وأدق ، ولقد جاءت بدورها أزواجا .

و(**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) .. فهل كانوا حقا يعلمون أو تعلمون .

وما خفى كان أعظم ، (**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) .

ولنا مع الأزواج التي في داخل الأزواج عودة ، لنعلم ما لم نكن نعلم ، فما أكثر ما لا نعلم ، وما أعظم ما نجهل من أسرار الكون والحياة ، تلك الأسرار التي تتجلى فيها دائما عظمة ملكوت الله .



للاستاذ : انور الجندي

يمكننا ان نقول بدون تردد ان الموجة التغريبية في هذا العقد الاخير من القرن الرابع عشر الهجري : هي موجة « صهيونية ماركسية » فقد تكشفت في السنوات الاخيرة تلك العلاقة العضوية بين الصهيونية والماركسية .

وكيف تقاسمتا مجال الفكر العالمي كله فاعطيت الماركسية ذلك القطاع الذي يفسر الحياة والمجتمعات والتاريخ تفسيرا اقتصاديا وماديا تخفت

الصهيونية وراء مذاهب العل
الاجتماعية والنفس والاخـ
والانثروبولوجيا ومقارنات الاديان وكـ
لارتفاع مد النفوذ الماركسي في الستينـ
مع اثار الفكر التلمودي المسيطر في مجـ
الفكر الغربي الليبرالي ابعد الاثر في طـ
تلك الشبهات التي ما تزال تحتاج
الكشف عن وجه الحق فيها والتعرف
زيوفها وما القت من ظلال بعيدة الـ
على مفهوم الاسلام الصريح الواضح

مختلف مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والتربية لقد كان من اكبر التحديات ان فتحت لهذا الفكر الوافد الزائف مجالات واسعة للنشر استطاعت به ان تصل الى الطبقات العامة وان تثير الزيغ في مجال العقيدة نفسها نتيجة ذلك « الفراغ » الذي عجزت المناهج التعليمية والتربوية في اجزاء كثيرة من البلاد العربية والعالم الاسلامي ان تغطيه بمفاهيم الاصالة الاسلامية مصوغة في اسلوب العصر ، وبذلك تركت هذه الثغرة مفتوحة لكي تسيطر منها على العقول والقلوب ، تلك المفاهيم الزائفة والنظريات الفاسدة المطروحة التي تحمل بريقا يشبه بريق العلم وتحمل في نفس الوقت الظن وما تهوي الانفس من محاولات لكسر الضوابط وهدم حدود الله ، وتعمل على تغذية الرغبات بالاثارة والتحلل مخالفة في ذلك اسلوب الاسلام في مواجهة هذه الرغبات النفسية بالتبرير والاعلاء .

لم يتوقف الغزو الثقافي عن هدف واحد في سبيل غايته التي ترمي الى « احتواء » هذه الامة و « صهرها » في بوتقة العالمية والاممية ولكنه عمل في مختلف الميادين ولقد كانت محاولات الاستعمار الغربي في المرحلة السابقة لمرحلة الماركسية الصهيونية قد مهدت الطريق للتحديات الخطيرة في هذه المرحلة الراهنة فقد استطاعت برامج الارساليات في مجال التعليم التي نقلت الى المناهج الوطنية في اغلب البلاد الاسلامية قد حالت بين الاجيال الشابة المسلمة والاصالة في الفكر والتماسك في الخلق وكان فساد مناهج الثقافة والصحافة وتوالي الانحرافات في المجتمع قد مهد كثيرا للطور الماركسي الصهيوني الذي قام على اساس ان المسرح بديل عن المعبد وأن الدين افيون الشعوب وان العلم إله يعبد وان الانسان حيوان ، كل هذه المفاهيم التي طرحتها الفلسفة الصهيونية الماركسية كانت بعيدة الخطر في هذه المرحلة التي يمر بها العالم الاسلامي اليوم وكذلك نجد ان ما قدمه جرجي زيدان وطه حسين وسلامة موسى وعلي عبد الرازق ومحمود عزمي كان مقدمة للتوسعات التي جاءت من بعد ، فقد حرص طه حسين على ان يمهد للتفسير المادي للتاريخ ووضع الصحابة الاعلام في موقع الساسة وصراعهم ، وخلط سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاساطير وتوسع فيها وحذا حذوه كتاب كثيرون من امثال عبد الرحمن الشرقاوي واحمد عباس صالح وغيرهم . وكذلك الامر في مسألة اللغة كما تعرض لها سلامة موسى ، او مسألة الاسلام دين ودولة كما تعرض له على عبد الرازق ، او مسألة مفهوم القوميات كما تعرض له محمود عزمي .

كانت المحاولة التغريبية تهدف الى اثارة شبهة التكامل بين الدين والدولة ، والدين والمجتمع ، والدين والعلم ، وتطرح اسلوبا للمجتمعات الاسلامية يستهدف خضوعها للقانون الوضعي ولكن المحاولة اليوم تقطع مرحلة اشد عنفا حينما نجد الدعوة الى احتواء الشريعة داخل القانون الوضعي ومحاولة اتخاذ الشريعة الاسلامية وسيلة لتبرير واقع المجتمعات الفاسدة وذلك عن طريق اثارة شبهات حول الثابت والمتغير وحول

التطور وحول ما يدعى من قدرة الاسلام على التجاوب مع اوضاع المجتمعات وقد نشأت في السنوات الاخيرة « جماعة » تتخصص في تقنين هذه السموم وتستند هذه الجماعات على تلك الثغرة الباطلة التي زيفها الشيخ علي عبد الرازق حين ادعى بان الاسلام دين روحي وانكر ان الاسلام منهج حياة ونظام مجتمع فخرق بذلك خرقا اهتبله الاسشراق ودعاة الغزو الثقافي ونشأت له مدرسة في مرحلة الفلسفة الصهيونية الماركسية .

كذلك فقد علت تلك الاصوات التي تحاول ان تبرر وجود الربا في المجتمعات الاسلامية تفريقا بين ربا الفضل وربا النسيئة ، في محاولة لفرض وجود امبراطورية الربا اليهودية العالمية .

وهكذا استطاعت الموجة اليهودية الماركسية الانتفاع بالركائز التي اقامها الاستعمار الغربي كما انتفعت بالدعوات العنصرية والقومية والاقليمية والوطنية والعالمية في تمزيق وحدة الجماعة الاسلامية ونقلها من قاعدة الاصالة القائمة على الفكر والعقيدة الى قاعدة زائفة هي قاعدة العنصر والدم وصراعها القاتل كذلك برزت تلك الجماعات التي تتحدث عن الماركسية والاشتراكية والفرويدية والوجودية والوضعية المنطقية ومدرسة العلوم الاجتماعية اتباعا لمدارس وتيارات وافدة بهدف تمزيق اديم الفكر الاسلامي واثارة الشبهات في افقه .

وكلها تفتح الابواب امام الوثنية والتعدد والاباحية والالحاد تحت اسم العصرية والحداثة والتقدم وكانت في المرحلة الماضية تجري تحت اسم التجديد ، وتحولت مفاهيم الماسونية والتلمودية الصهيونية الى نظريات ذات طابع علمي خادع يستهدف تدمير القيم الاخلاقية وتفكيك المجتمعات وهدم الاسرة واشاعة الجنس والشهوات والقضاء على الروابط بين الاجيال واضعاف ترابط الاباء والابناء والرجال والنساء ، وطرحت في الاسواق مئات الكتب الرخيصة عن الجنس والمرأة فضلا عن الصور العارية والقصص المكشوفة مترجمة ومؤلفة ولم يتوقف الامر عند ما طرحه الفكر الغربي من سموم وانما جرى العمل على بعث تراث الفكر البشري القديم ممثلا في ألف ليلة والاغاني وشعر بشار وابي نواس واحياء حركات الزنج والقرامطة والمجوسية وصراعها مع الاسلام .

وجاءت مرحلة ضرب الاسلام من الداخل فشجع الغزو الفكري كل المحاولات المضللة التي تدعي انها اسلامية وذلك للعمل في هدم الاسلام امثال القاديانية والبهائية واعانها بكل اسباب العون ماديا وادبيا لانها تحمل في تضاعيف دعوتها هدم فريضة اساسية من فرائض الاسلام وهي الجهاد والتشكيك في عالمية الاسلام وفي ختامه للرسالات والاديان وقد عقدت الجماعات البهائية العالمية مؤتمرها العام في اسرائيل تأكيدا لهذا المعنى .

وكانت اخطر دعوات الفلسفة الصهيونية الماركسية : تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على المجتمع الانساني واعلاء شأن العلم والعقل وازدراء مفهوم الدين والروح والمعنويات واعلاء شان الاهواء والغرائز والشهوات ودفع البشرية الى اتخاذها اسلوبا في الحياة ، واذاعة

سفاسف الفكر البشري كالاساطير والخرافات والسحر تحت اسم الفلكلور ، وضرب التراث الاصيل للامم والشعوب وهو التراث الذي جاءت به الاديان والكتب المنزلة .

ومن اخطر ما طرحته دعوات الفلسفة الصهيونية الماركسية النظرية المادية في الانسانيات والتاريخ ، ونظرية التطور المطلق التي تستمد مفهومها من الفكر التلمودي القديم وتحاول ان تفرض على المجتمعات حتميات تنكر المسؤولية الفردية للانسان والجزاء الاخروي وتصور الانسان على انه شاهد تاريخ ليست له ارادة التعبير والفعل .

وبالرغم من ان العلم التجريبي قد اعلن انه لا يعدو في تجربته دراسة ظواهر الاشياء وانه يعجز عن البحث في كنه الحياة ، فان الفلسفة المادية تحاول ان تدفع البشرية إلى اعتناق مفاهيم المادية لتفسير الحياة والمجتمعات والنفس الانسانية وقد استعملت هذه النزعة في دراسات مدرسة العلوم الاجتماعية الغربية « دور كايم وليفي بريل » بالاضافة الى تفسير الحياة والمجتمعات والانسان تفسيرا جنسيا « فرويد » وتفسير الحياة والمجتمعات والانسان تفسيرا يتصل بالبطن ولقمة العيش « ماركس » فان اليهود الاربعة يستهدفون محاصرة الفكر البشري كله وطرح فلسفة كاملة له تعمل عملها في المجتمعات الرأسمالية لتخطو نفس الخطوات التي تستطيع ان تحققها الماركسية في المجتمعات الشيوعية بحيث تصبح البشرية كلها مهيأة للاحتواء اليهودي التلمودي الصهيوني الذي يخطط منذ عام ١٨٩٧ عن طريق بروتوكولات صهيون للسيطرة العلمية بعد مائة عام ، وان الخطوات المتوالية تكشف عن ان الماركسية والصهيونية ستستطيعان بعد سنوات قليلة من اعلان تكاملهما في خطة احتواء العالم والسيطرة على البشرية ، وان الخطر الوحيد الذي يواجه هذه المحاولة الآثمة والمؤامرة الخطيرة هو الاسلام وعالمه الذي يقف صخرة توهي ناطحها بقيمه الاساسية وذاتيته التي تعجز كل هذه القوى عن احتوائها او السيطرة عليها ، وان الصورة الجزئية التي نجدها في الصراع العربي الاسرائيلي او الاسلامي الصهيوني انما هي جانب من الصورة الكاملة التي تخفيها حكومة الاحبار الثلاثمائة العالمية .

وهكذا نجد ان المؤامرة واحدة في مصدرها واساسها وان اختلفت على جبهات الوجوديين والفرويديين والماديين والبهائيين والماركسيين وان كثيرا من العاملين في حقل المؤامرة يعرفون ابعاد هذا المخطط وان كتاباتهم لتشف عن هذه الروح ، وان العمل في مجال الادب والقصة والمسرح والسينما والصحافة يحاول ان يستوعب هذا المخطط وان يحول مفاهيم الفلسفة الماسونية المتحدة من المخطط التلمودي الى فكر وقضايا ومسائل تطرح ونظريات تعرض في مختلف المجالات .. ولذلك فان المسلمين مدعوون في هذه المرحلة الخطيرة التي يدخلون بها القرن الخامس عشر الهجري ان يحدثوا تغييرا كبيرا يعودون به الى الاصالة الاسلامية والتماس المنابع الاسلامية .



نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقدم باقة من الأحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسلم أكرم زاد من الهدى المحمدي .

عن أبى موسى رضى الله عنه قال :

كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائطٍ من حِيطانِ المدينة ، فجاء رجلٌ فاستَفْتَح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « افتحْ له وَبشِّرْهُ بالجنةِ » ففتحتُ له ، فاذا أبو بكر ، فبشرْتهُ بما قالَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فَحَمِدَ اللهَ ، ثم جاء رجل فاستفتحَ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « افتحْ له وَبَشِّره بالجنةِ » ففتحتُ له ، فاذا هو عُمَرُ . فأخبرتُه بما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فَحَمِدَ الله . ثم استفتَحَ رجل فقال لي : « افتحْ له وبشره بالجنةِ على بَلْوى تصيبُه » فاذا عثمانُ . فأخبرتُه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَحَمِدَ اللهَ ، ثم قال : « اللهُ المستعانُ » .

(رواه الشيخان)

حائط من حيطان المدينة = بستان من بساتينها

استفتح = طلب الاذن للدخول .

عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يَتْبَعُ الميتَ ثلاثةٌ . فَيَرْجعُ اثنان وَيَبْقى مَعَه واحِدٌ ، يَتْبَعه أهلَهُ ، ومالُه ، وعملُه . فيرجعُ اهلُه ومالُه ، ويبقى عَمَلُه » .

(رواه الشيخان)

يتبعه أهله وماله وعمله . هذا يقع في الأغلب ، ورب ميت لا يتبعه الا عمله فقط والمراد من يتبع جنازته من أهله ورفقته ، ومعنى بقاء عمله أنه يدخل معه القبر فان كان عملا صالحا ، أصبح القبر روضة من رياض الجنة ، وإن كان عملا غير صالح اصبح القبر حفرة من حفر النار والعياذ بالله تعالى .



للدكتور / محمد رواس قلعه جي

نشرت مجلة الوعي الاسلامي الكويتية في عددها ١٦٣ الصادر في شهر رجب ١٣٩٨هـ يونيو ١٩٧٨ مقالا في الصفحة السادسة بعنوان « عدم انتفاع الانسان بعمل غيره » .

ولولا أني اعرف في كاتب المقال غزارة العلم ، ودقة البحث وكريم الاخلاق لما تناولت قلمي لتسجيل تلك الملحوظات ، ولسمحت لهذا المقال أن يدفن كما دفنت آلاف المقالات في صدري .

١ ــ ان مسألة انتفاع الميت بعمل غيره ، إذا وهب ثوابه إليه مسألة خلافية ، فمن الفقهاء من قال بانتفاع الميت بهذا الثواب ، ودلل على ما يقول بأدلة راها ، ومنهم من قال بعدم الانتفاع ودلل على ذلك بأدلة راها أيضا .

ولو أن فضيلة الكاتب عرض كلا الرأيين مع أدلتهما ثم انتهى إلى ترجيح ما يراه حقا لمرجحات رآها ، لما كان لنا أن نفوه بكلمة ، لأنه يكون قد سار على سنن العلم ، ولكنه آثر ان يعرض ما رآه حقا دون الاشارة إلى وجود رأى مخالف ، فأوهم القارئ انه هو الحق الذي لا خلاف فيه ــ مع أن الخلاف فيه قديم .

٢ ــ وعماد الأدلة التي استدل بها الكاتب على أن الميت لا ينتفع بعمل الحي إن وهب ثوابه له : القرآن ، والسنة ، والقواعد الفقهية ، وأقوال الفقهاء والاصوليين ، ولكن جميع هذه الأدلة لدى النظر الدقيق هي في غير محل النزاع .

٣ ــ اما استدلاله بالقرآن الكريم :

أ ــ فقد استدل بقوله تعالى : **(أفرأيت الذي تولى . وأعطى قليلا**

وأكدي . أعنده علم الغيب فهو يرى . أم لم ينبأ بما في صحف موسى . وإبراهيم الذي وفى . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وان ليس للانسان إلا ما سعى . وإن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى) النجم/ ٣٣ ــ ٤١ .

وأنت اذا تأملت هذه الآية جيدا لوجدتها في غير محل النزاع ، وانها لا صلة لها بموضوع وصول ثواب عمل الحي الى الميت ، فصدر الآية الكريمة في العذاب ... وقوله تعالى فيها : **(ألا تزر وازرة وزر أخرى)** يعني : لا تحمل نفس أوزار نفس أخرى وسيئاتها ، كما فسرها فضيلة الكاتب ، فهي إذن في موضوع « **عدم تضرر الانسان بعد موته بعمل غيره** » وشتان بين هذا وبين ما أراده الكاتب من الاستشهاد بها على عدم انتفاع الانسان بعد موته بعمل غيره » .

ب ــ واستدل أيضا بقوله تعالى : **(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين)** الطور/ ٢١ ــ وهي ليست في محل النزاع أيضا ، لأن الآية الكريمة في منطوقها تدل على أن الذين احسنوا اعمالهم لله كان لهم ثواب أعمالهم يوم القيامة ، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، لأنه سبحانه اكرم من أن يضيع للانسان عملا صالحا فلا يثيبه عليه ، وهذا هو معنى قوله تعالى في آخر الآية : **(كل امرئ بما كسب رهين)** وقد فسره أولها ، وهو سبحانه لا يعاقب إنسانا على عمل غيره كما قرره الكاتب نفسه .

فليس في الآية إذن ما يدل على أن الانسان لا ينتفع بعمل غيره إذا وهب ثوابه اليه ، بل هي في موضوع غير هذا الموضوع كليا .

٤ ــ أما الحديث الشريف : « اقرءوا يس على موتاكم » فاننا مع الكاتب في عدم نهوضه للاستدلال به لما فيه من الضعف .

٥ ــ أما القاعدة الفقهية التي استدل بها فهي : « ان القربات يقتصر فيها على النصوص » وليست القاعدة كذلك ، بل هي « إن العبادات يقتصر فيها على النصوص » لأن باب القربات باب واسع جدا ، فكل عمل صالح أريد به وجه الله تعالى فهو قربة ــ وقد لا يكون عبادة بالمعنى الاصطلاحي للعبادة عند الفقهاء ــ حتى الطعام والشراب وقضاء الوطر تصبح قربة إذا ابتغى بها وجه الله تعالى .

اما العبادات فانها لا تصح ولا تقبل إلا إذا أديت على الوجه الذي شرعه الله تعالى ، ومن هنا قال الفقهاء : « العبادات توقيفية » ولم يقولوا : « القرب توقيفية » .

٦ ــ اما كلام الفقهاء والأصوليين : فقد اورد فضيلة الكاتب كلاما لابن القيم ، وآخر للشاطبي :

أ ــ قال ابن القيم : « المفرط من غير عذر لا ينصفه أداء غيره عنه لفرائض الله تعالى التي كان هو المأمور بها ،

ابتلاء وامتحانا له ، دون غيره ، فلا تنفع توبة أحد عن أحد ، ولا إسلامه ولا صلاته ولا غير ذلك » .

وانت ترى أن هذا النص في غير موضوع النزاع ، فموضوع النزاع : « هل يصل ثواب قراءة القرآن للميت أم لا يصل » مع الاتفاق على أن هذا الثواب لا يعني إسقاط الفريضة عنه ، بل هو ثواب ينتفع به باعلاء درجاته في الجنة أو تكفير بعض سيئاته .

وهذا النص لابن القيم هو في النيابة في فرائض العبادات البدنية ، وهو لم يقل به أحد من أهل الاسلام ، فأين هذا النص مما نحن فيه .

٧ ــ قال الشاطبي : اما النوع الثاني : وهو ما كان من قبيل العبادات فالمقرر فيه : أن التعبدات الشرعية لا يقوم فيها أحد عن أحد ، ولا يحمل وزر التقصير فيها غير المقصر » .

ونحن لو دققنا في عبارة الشاطبي ــ وهي عبارة دقيقة جدا ــ لوجدناها تنص على أنه « لا يقوم بها احد عن أحد » مع العلم أن الذي يهب ثواب تلاوة القرآن للميت لا يتلو عنه القرآن ، ولكنه يهب ثواب تلاوته هو للميت ، وشتان ما بينهما .

٨ ــ ورد في المقال أيضا : « لو صحت النيابة في العبادات البدنية لصحت في القلبية ، كالايمان والصبر والشكر والرضا والتوكل وما اشبه ذلك » .

ومع أننا لا نسلم أن هبة ثواب قراءة القرآن للميت من باب النيابة في العبادات البدنية ــ كما قدمنا ــ فان الذي عجزنا عن فهمه هو وجه التلازم بين صحة النيابة في العبادات البدنية ، وصحته في العبادات القلبية .

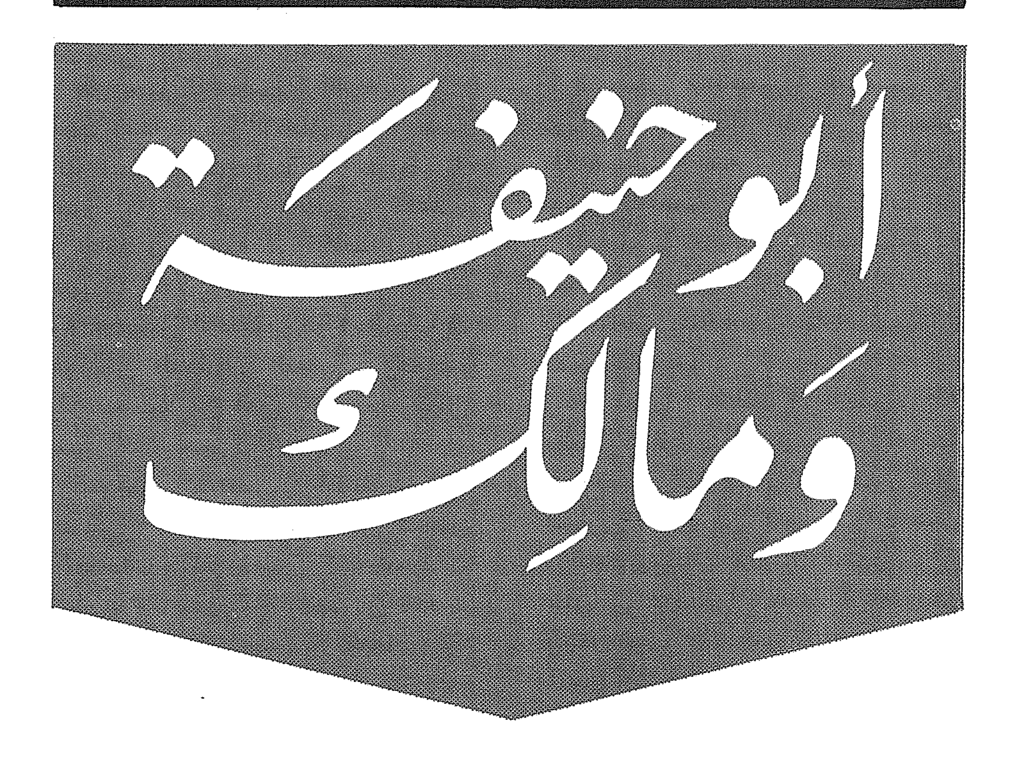
٩ ــ ونحن مع فضيلة الكاتب في قوله : « إن دعاء الداعي وتصدقه طاعة مقدمة منه له تعالى ، يرجع ثوابها له نفسه ، سواء استجاب الله دعاءه أم لا .. وانما ينتفع المدعو له بهذا الدعاء ان كان فيه اهلية من ذلك ، من صالح الأعمال ، وحسن الاخلاص » .

ونحن نقول : وكذلك هو الأمر بذاته بالنسبة لقراءة القرآن ، فان ثوابها يرجع الى القارىء ذاته ، فان كان القارىء ليس من أهل الثواب فان ثوابها لن يصل الى الميت قطعا ، وان كان من أهل الثواب ودعا الله تعالى أن يجعل ثواب هذه القراءة للميت وكان الميت أهلا لذلك كان له ذلك ، وان لم يكن أهلا لذلك فثواب القارىء له لا يتعداه إلى الميت .

وبعد :

إن كان لنا رجاء ، فان رجاءنا إلى الباحثين والكتاب المعاصرين ، عرض الأمور عرضا علميا موضوعيا ، وافق هواهم أم لم يوافقه ، والبعد عن التهويل ، وعن تحميل الأقوال والأفعال ما ليس مرادا منها ، لأن القيم والأحكام أمانة في أعناقهم ، فعليهم صيانتها ، وان ما يكتبونه اليوم سيكون تراثا يحتكم إليه في المستقبل ، فاذا كان الميزان مختلا فكيف تستقيم الأمور .

مع الأئمة الأربعة (١)



للاستاذ : محمد إمام

ابو حنيفة ..
النعمان بن ثابت

نحن الآن في آواخر العهد الأموي وأوائل العهد العباسي . حيث زاد الخلاف بين اهل الحديث وأهل الرأي .

ففي الحجاز وعلى رأس مدرسة الحديث مالك بن انس وتلاميذه ، وفي العراق مدرسة الرأي وخاصة الكوفيون وعلى رأسهم أبو حنيفة النعمان .

وقد اجمع المؤرخون على ان أبا حنيفة ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ ، اي انه ولد في عهد عبد الملك بن مروان ، الذي مات

وأبو حنيفة في السادسة من عمره ، ثم في ولاية الحجاج على العراق ، الذي توفي وابو حنيفة قد بلغ الخامسة عشرة من عمره .

وكان ابو حنيفة طويلا تعلوه سمرة ، لباسا ، حسن الهيئة ، كثير التعطر ، يعرف بريح الطيب إذا اقبل ، وإذا خرج من منزله قبل أن تراه .

فقد نشأ ابو جنيفة في الكوفة ، وكان في زمانه بعض الصحابة وكبار التابعين ، سمع منهم الحديث ولم يقتصر جلوسه بمسجد الكوفة على التعلم فحسب بل كان يجلس في حلقات الفقه والشعر والنحو ، وفي هذه الحلقات يتكلمون في القضاء والقدر ، والكفر والايمان وغير ذلك من علم الكلام ، وبعد ان بلغ في ذلك كله مبلغا كبيرا تحول إلى الفقه .

وروى عن ابن الهذيل ، قال : (سمعت آبا حنيفة يقول : كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغا يشار إلى فيه بالاصابع ، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن ابي سليمان ، فجاءتني امرأة يوما فقالت :

رجل له امرأة يريد ان يطلقها للسنة كم يطلقها ؟ فأمرتها ان تسأل حمادا ثم ترجع فتخبرني .. فرجعت فاخبرتني ، فقلت : لا حاجة لى في الكلام ، وأخذت نعلى فجلست إلى حماد) أما عن دراسته الفقه .. فقد درسه في مدرسة الكوفة كما تقدم ، وكانت مدرسة لها رجال ، ومن اشهر رجالها هم : عبد الله بن مسعود في الكوفة ، وهو فقيه جليل ، وعلي بن ابي طالب في الكوفة ، وقد خلف مجموعة من القضايا والفتاوي لأهل العراق ، وعلقمة بن قيس النخعي كان خير تلاميذ ابن مسعود ، ومسروق بن الاجدع الهمداني الذي خلف لأهل العراق كثيرا من الفتاوي ، وشريح بن الحارث الكندي ، وعامر بن شراجيل الشعبي ، والأسود بن يزيد النخعي وإبراهيم النخعي ، ثم جاء حماد بن ابي سليمان الأشعري وقد جمع ذلك كله وأسلمه لابي حنيفة فصاغه مذهبا .

كما اخذ أبو حنيفة عن عطاء بن ابي رباح ، وهشام بن عروة ، ونافع مولى ابن عمر . واكثر ما اخذ من علم فهو كما ذكرنا على يد استاذه حماد بن ابي سليمان الأشعري ، فقد كان واسع العلم فقيها ، مات سنة ١٢٠ وكان أبو حنيفة قد لزمه نحو ثمانية عشر عاما لما رأى من علمه ، فقد كان يقول : (حماد اعلم من رأيت) ، جالسه اولا نحو عشر سنوات ثم حدثته نفسه ان يستقل ، ويكون لنفسه حلقة خاصة ، ثم خجل من شيخه ، واتيحت له فرصة ذهاب حماد إلى البصرة ، فجلس مكانه يعلم ويفتى ، وعرضت عليه نحو ستين مسألة جديدة لم يسمع فيها شيخه ، فلما عاد سأله فيها فأقره على اربعين منها وخالفه في عشرين ، ولزمه حتى مات .

ولما كان حماد قد مات سنة ١٢٠ فيكون ابو حنيفة قد لازمه إلى أن بلغ

سنه نحو الأربعين ، وقد كان يجادل شيخه ويناقشه ويلازمه ، حتى روى عنه انه قال : لزمت حمادا لزوما ما أعلم أحدا لزمه مثل ما لزمته ، وكنت اكثر السؤال فربما تبرم منى ويقول : (يا ابا حنيفة قد انفتح جنبي وضاق صدري) ، وحتى روى انه قال له يوما : (انزفتني) اي اخذت كل ما عندي ، والى جانب علمه .. كان ابو حنيفة يحترف التجـارة ويسمونـه النعمان بن ثابـت الخـزاز ـ كان خزازا يبيع الخز ـ مما اكسبه فائدة وخبرة بالحياة المالية العملية ، وكان له دكان في دار عمرو بن حريث .

والأعشى يقول وقـد سئـل عن مسألة : (إنما يحسن الجواب في هذا ومثله النعمان بن ثابت الخزاز ، اراه بورك في عمله) .

منحاه في الاجتهاد

يسلك ابو حنيفة في القرآن الكريم مسلك كل الائمة ، إن اختلفوا في شيء فيه فاختلاف في فهم مدلوله واشارته وطرق الاستنباط منه . اما في الحديث فكان له مسلك خاص ، وهو التشدد في قبول الحديث ، والتحري عنه وعن رجاله حتى يصح ، وكان لا يقبل الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلـم إلا إذا رواه جماعـــة عن جماعة . او كما يعبرون هم إذا كان خبر عامة عن عامة ، او كان خبرا اتفق فقهاء الأمصار على العمل به ، أو روى واحد من الصحابة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع منهم ، فلم يخالفه احد ، لأن هذا يدل على إقرارهم له ، ولو كانوا يخالفونه لردوا عليـــه ، فكان هذا بمثابة الحديث يرويه جماعة .

وروى عن ابي يوسف انــه قال : « كان أبو حنيفة لا يرى أن يروى من الحديث إلا ما حفظه عن الذي سمعه منه » .

كما قال : « ردي على كل رجل يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف القرآن ليس ردا على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تكذيبا له ولكنه رد على من يحدث عنه بالباطل ، والتهمة دخلت عليه ليس على نبي الله ، وكل شيء تكلم به النبي « صلى الله عليه وسلم » فعلى الرأس والعين قد آمنا به ، وشهدنا انه كما قال ، ونشهد أيضا انه لم يأمر بشيء يخالف أمر الله ، ولم يبتدع ، ولم يتقول غير ما قال الله ، ولا كان من المتكلفين .

وقد روى عنه انه قال : « إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته ، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » اخذت بقول أصحابـــه من شئت ، وأدع قول من شئت ، ثم لا اخرج من قولهم إلى قول غيرهم ، فاذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبى والحسن وابن سيرين ، وسعيد بن المسيـب ، فلى ان أجتهـد كمـــا اجتهدوا » .

ويقول الدكتور احمد امين في كتابه ضحى الاسلام ، في منهج الامام أبو حنيفة : « وعلى الجملة فقد كان

يشدد في الأخذ بالحديث ، وهذا — من غير شك — يضطره إلى التوسع في القياس والاستحسان فما لم يكن فيه اثر كتاب ولا اثر صحيح ، فليس فيه أمام المجتهد الا القياس والاستحسان » ، ويقول ايضا : « كذلك كان من مبدئه إعمال عقله فيما إذا روى في المسألة قولان او اكثر للصحابة فيختار منها اعدلها او اقربها الى الأصول العامة ، وعدم الاعتداد بأقوال التابعين إلا ان يوافق اجتهاده » .

وروى أنه قال ستين الف مسألة وقال بعضهم ثلاثا وثمانين ألفا في العبادات ، وخمسا وأربعين ألفا في المعاملات .

وان دل ذلك العدد على شيء فانما يدل على كثرة ما سئل وما اجاب ، وكثرة ما جادل وعارض فيما يفتى ، فيقيم الحجج القوية على ما افتى ، ، وقد نازله فقهاء عصره وغالبا ما انتصف منهم ، ونسوق هنا مثالا مما روى عنه .

جاءه جماعة من اهل المدينة ليناظروه في القراءة خلف الامام (وابو حنيفة يقول بعدم القراءة) ، فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ، فولوا الكلام اعلمكم ، فأشاروا الى واحد ، فقال : هذا اعلمكم ؟ والمناظرة معه كالمناظرة معكم ؟ قالوا .

نعم ، قال : والحجة عليه كالحجة عليكم ، قالوا : نعم ، قال : إن ناظرته لزمتكم الحجة لأنكم اخترتموه فجعلتم كلامه كلامكم ، وكذا نحن اخترنا الامام فقراءته قراءتنا .

ومئات من المسائل استعمل فيها الرأي والقياس او الاستحسان ، وردت في كتب الفقه والمناقب ، ولا يتسع بنا المجال لذكرها .

الحيل الشرعية

ومن ابواب الفقه في المذاهب الاربعة . باب الحيل الشرعية ، ولو انها في مذهب ابى حنيفة اخذت نصيبا اكبر من الدراسة والبحث ، فقد الفت فيها الكتب الكثيرة ، وقد خصص ابن القيم جزءا كبيرا من كتابه « اعلام الموقعين » في الكلام في الحيل ، وفي قيمتها والتشنيع على من توسع فيها .

ولقد وضعت حيل للهروب من كل الالتزام ، فحيل لاسقاط الشفعة ، وحيل لتخصيص بعض الورثة بالوصية ، وحيل في اسقاط حد السرقة وهكذا .

ونكتفي هنا بمسألة واحدة ، مما روى عن ابي حنيفة في باب الحيل الشرعية .. وكان سكان العراق قد تفننوا وفتئذ في الأيمان والطلاق — فيحلف الرجل : ليقربن امرأته نهارا في رمضان ، فيفتيه أبو حنيفة ان يسافر بها فيقربها نهارا في رمضان .

وعلى هذا النمط ، وما شابه تلك الحيلة من الحيل التي افتى بها ابو حنيفة ليست من نوع التحايل على إبطال الحق .. انما هي استخراج فقهي للخروج من مأزق ، ودون

التعدي على احد في ماله او نفسه .

مؤلفاته

كل ما ذكره ابن النديم عن كتب ابي حنيفة هو : كتاب الفقه الاكبر ، ورسالته الى البستي ، وكتاب العالم والمتعلم ، وكتاب الرد على القدرية . ويبدو انه لم يؤلف في الفقه ، ولكن تلاميذه كانوا يحفظـون اقوالـه .. فنقلوا إلينا اقواله في أبواب الفقه ، وجـدوا في المحافظـة على مذهبـه بتدوينه ، والاستدلال له ، وترتيـب مسائله وتوسيعها ، واشهر تلاميذه واقربهم إليـه هو ابـو يوسـف ١١٣ ـ ١٨٢ ، الذي افاد من فقه ابي حنيفة اعظم فائدة ، وقدر له ان تولى القضاء لثلاثة من الخلفـاء : المهدي ، ثم الهـادي ، ثم هارون الرشيد ، وقد اصبح في عهده قاضي القضاة ، وبقاء ابي يوسف في مثل ذلك المنصب عهدا كبيرا .. يجمع بين الدين والمنصب والجاه إنما يدل على لباقة فائقة قلما تتوفر لغيره .

وعلى الجملة فقد انتشر فقه ابي حنيفة في العراق ، وكان طبيعيا ان يسود في العراق ، ففيه نشأ ، ومذهب البلد ادرى بما يعرض من المسائل واقدر على حلها ، وهو باعتماده على الرأي والقياس ـ حيث لا نص يصح ـ اكثر اسعافا للفتوى فيما يجد من احداث تتطلب سرعة في البت .

تلك هي مدرسة الكوفـة التـي تركزت في ابي حنيفة ، وسوف ننتقل لمدرسة المدينة والامام مالك .

مالك بن أنس

ونحن في أواخر العهد الأموي وأوائل العهد العباسي ، حيث الخلاف على أشده بين أهل الرأى وأهل الحديث وفي العدد الماضي تعرفنا على الامام ابى حنيفة النعمان صاحب مدرسة الرأى ، وتعرضنا لحياته ومنحاه في الاجتهاد .

ونحن اليوم نعرض لصاحب مدرسة الحديث مالك بن أنس ، وهو مالك بن أنس الأصبحي المدني ، والأصبحي نسبة الى ذى أصبح قبيلة يمنية ، والأشهر أنه عربي الأصل وأن نسبه الى ذى أصبح نسب عربي صحيح ، وبذلك قال الواقدي ، ولكن محمد بن اسحق خالفه في ذلك ، وزعم أن مالكا وجده وأعمامه موالى لبني تيـم بن مرة .

وروى أنه أخذ القراءة عن نافع بن أبى نعيم ، وسمع الحديث من كثير من شيوخ المدينة وها هم أساتذة مالك وشيوخه الذي سمع منهم الحديث .

أولا : عصر الصحابة

عمر ، عثمان ، عبد الله بن عمر ، عائشة ، ابن عباس ، زيد بن ثابت .

ثانيا : التابعين

فقهاء المدينة :

عبدالله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود توفي ٩٤ ، عروة بن الزبيـر ٩٤ ، القاسم بن محمد بن ابي بكر ١٠٦ ، سعيد بن المسيب ٩٣ ، سليمان بن

يسار ١٠٠ ، خارجة بن زيد بن ثابت ١٠٠ ، ابا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ٩٤ ابن شهاب الزهري ١٢٤ ، نافع مولى عبد الله بن عمر ١١٧ ، ابو الزناد عبدالله ابن ذكوان ١٣١ ، ربيعة الرأى ١٣٦ ، يحيى بن سعيد ١٤٣ .

وعبد الله بن وهب ١٩٧ ، عبد الرحمن ابن القاسم ١٩١ ، أشهب عبد العزيز ٢٠٥ ، عبد الله بن عبد الحكم ٢١٤ ، يحيى بن الليثى ٢٣٤ .

أساس التشريع عند مالك

وكما نرى أن أكثر هؤلاء الرجال عرفوا بالحديث والفقه فيه .. مما جعل مالكا لا يشترط في الحديث ما اشترطه أبو حنيفة من تشدد في قبول الحديث ، والتحري عنه وعن رجاله ، بل كان مالك يعمل بخبر الواحد اذا صح او حسن ، مما جعل الأحاديث التي يبنى عليها مذهبه أكثر عددا ، ولا يدل ذلك على تساهله في قبول الحديث بغير تحر ، بل هو شديد التحري ولكن لا يشترط شهرة الحديث وعمومه كما هو الحال في مذهب ابى حنيفة ..

وكان يقول : « لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم : لا يؤخذ من سفيه ، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته ، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وان كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به » .

وهناك أيضا عمل اهل المدينة .. فكان مالك يدل بعملهم ، ويرى أنهم أدرى بالسنة وبالناسخ والمنسوخ ، ويقول في كتابه لليث بن سعد :

« ان الناس تبع لأهل المدينة التي اليها كانت الهجرة ، وبها نزل القرآن » .

ومن مسلك مالك في التشريع ، العمل بقول الصحابى ان صح نسبته اليه ، وكان من أعلام الصحابة مثل الخلفاء الراشدين ، ومعاذ بن جبل ، وابن عمر . وإن لم يرد في المسألة عينها حديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صحيح .

ومما تقدم نرى أن ما سلكه مالك في التشريع سواء أكان عمل أهل المدينة أم قول الصحابى .. كان من شأنه تضييق دائرة الرأى ، ومع هذا فلم ينكر مالك الرأى بتاتا ، فمن أصول مذهبه القول بالمصالح المرسلة أو الاستصلاح ، ورويت عنه اقوال دليلها الاستحسان .. ويقول الدكتور أحمد أمين في كتابه ضحى الاسلام :

« فمن هذا نرى ان مسالك الأئمة من أصحاب الرأى وأصحاب الحديث ، تكاد تكون واحدة في العدد ، ولكن الاختلاف انما هو في سعة الدوائر ، وضيقها ، فان ضاقت دائرة الحديث ، واتسعت دائرة الرأى عند الأولين كان الأمر على العكس عند الآخرين ، أما عدد الدوائر نفسها فتكاد تكون واحدة » .

مؤلفات مالك

من أكبر آثاره ، وأهم مؤلفاته التي نقلت الينا .. الموطأ ، والمدونـة .. ونحن نتعرض لكل منهما في ايجاز .. نرجو ألا يضر بهما شيئا ، أو نجحف حق مالك فيما يستحق على ما بذله من جهد ، وما قدمه من علم ينتفع به الى يومنا هذا .

(١) الموطأ :

وقد اختلف العلماء في سبب تسميته ، فبعضهم قال انه شئ صنعه ووطأه للناس ، ومهـد به العلـم ويسره . فسمـى من أجـل ذلك بالموطـأ ، والبعض قال :

ان مالكا لما ألفه عرضه على الشيوخ فواطأوه فسمى الموطأ .

وعلى كل فالكتاب فيه مظهر للحديث ومظهر للفقه .. أما الحديث فأغلبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين ، وقد أخذ هذه الأحاديث عن رجال بلغوا نحو خمسة وتسعين رجلا كلهـم مدنيـون الا ستة ..

اما المدنيون .. فقد روى عن بعضهم الكثير مثل ابن شهاب الزهـري ، ونافع ويحيى بن سعيد ..

أما عن هؤلاء الستـة .. فاثنـان بصريان ، ومكي واحد ، وخراساني وجزري وشامي ، والأحاديث التي يرويها عنهم قليلة جدا ، وقد لقيهم مالك إما في المدينة أو في مكة ، ومما يذكر أن بعض نسخ الموطأ ليس فيها بعض هؤلاء الستة ..

وبعض الأحاديث في الموطأ مسندة ، وبعضهـا مرسلـة ، ومتصلـة ومنقطعة ، وبعضها ممـا يسمـى بلاغات وقد روى أن مالكا « جمع في الموطأ اربعة آلاف حديث أو أكثر ، ومات وهي الف ونيف ، يخلصهـا عاما عاما بقدر ما يرى انه اصلح للمسلمين وأمثل في الدين » ..

هذا عن مظهر الحديـث في كتـاب الموطأ ، أما عن مذهب الفقه .. فقد رتبه ترتيب الفقه فكتاب الطهارة ، ثم الصلاة ، ثم الزكاة وهكذا ..

وقد جمع الموطأ وظل سنين يحرره ، وكان دائم التغيير فيها ، فهو يحذف منه ما يتبين له عدم صحته ، وتختلف الروايات في ترتيب الأبواب وعـدد الأحاديث حتى عدها بعضهم عشرين نسخة ، وبعضهم ثلاثين .

وفي الموطأ يقول الدكتور أحمد أمين : « وعلى كل حال فكتاب الموطأ يعد من أوائل الكتب التي ألفت في الحديث والفقه ، وقد نشره الآخذون عن مالك في الأمصار ، فمحمد بن الحسن في العراق ، ويحيى بن يحيى الليثي في الأندلس ، وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم ، وعبد الله بن الحكم وأشهب في مصر ، واسد بن الفرات في القيروان .. الخ ، وكان له أثر كبير في الحركة العلمية الدينية على اختلاف العصور .

(٢) المدونة :

وهي مجموعة من الرسائل تبلغ نحو ست وثلاثين ألف مسألة ، جمعها

أسد بن الفرات ، النيسابوري الأصل ، وهو تلميذ مالك .. رحل الى العراق وقد سمع منه الموطأ ، وفي العراق لقي صاحبي ابي حنيفة أبا يوسف ومحمدا ، وسمع منهما الفروع على الطريقة العراقية ، ثم ذهب ولقى أصحاب مالك بها ، ولا سيما ابن القاسم ، وعرض عليهم هذه الفروع ونحوها ، وسمع منهم حكمها على مذهب مالك ، إما حسب ما سمعوا من مالك ، وإما اجتهادا على أصوله ومنحاه ، وجمع اسد بن الفرات ذلك كله في كتاب سمى المدونة ، ثم رحل بها الى القيروان فأخذها سحنون ، الفقيه المغربي ، وعاد بها الى مصر سنة ١٨٨ فعرضها على ابن القاسم وأصلح فيها سحنون فقد كانت غير مرتبة ولا مبوبة ، وعاد بها الى القيروان ، وانتشرت منها الى الاندلس وكان لها الفضل في نشر مذهب مالك في قطري المغرب والأندلس .

وهكذا يتضح أن المدونة ليست من تأليف مالك ، وانما هي جمع لفتاوى مالك في مسائل واجتهاد من تلاميذه في وضع أحكام لمسائل على قواعده ومبادئه .

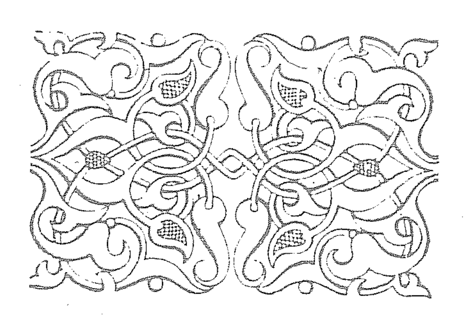
وكما نرى .. فالرحلات وانتقال الرجال بين المدينة والعراق وسائر الأمصار ، قد عملت على استفادة كل مذهب بما للآخر .. فمدرسة أبى حنيفة قد وسعت الفقه بكثرة الفروع وبما يسلتزمه من رأى وقياس واستحسان .. في مواجهة المدينة ومشاكلها المعقدة ..

ونرى مدرسة مالك قد أثرت في الفقه بما نقلت من أحاديث كانت وافرة فيها بحكم قيام الرسالة فيها ، وكثرة الصحابة والتابعين .

ثم نرى من أصحاب المذهبين من كان ينتفع بمزايا كل ..

فنجد محمد بن الحسن الحنفي يرحل الى المدينة ، ويمكث فيها ثلاث سنين ويروى الموطأ ، ثم يعود الى العراق مزودا بالآثار .

ونجد أسد بن الفرات يذهب الى العراق ، ويعود الى مصر والقيروان ، وهكذا تأثرت المدرستان ، وتقارب المذهبان ، أبو حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس ولقاؤنا القادم مع الامام الشافعي .. رضي الله عنهم جميعا ..



مائدة القارئ

دعوة الى الصبر

قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم : (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) .

الآية ٣٥ من سورة الاحقاف

❊ ❊

❊ ❊

أين المحمدية ؟

كان يحيى بن معاذ كثيرا ما يقول : أيها العلماء : إن قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كسروية ، ومواكبكم قارونية ! وأوانيكم فرعونية ، وأخلاقكم نمروذية ، وموائدكم جاهلية ، ومذاهبكم سلطانية ، فأين المحمدية ؟

جئتني بثلاث جنايات

زار أحد العلماء عابدا من عباد الله ونقل له كلاما عن بعض معارفه ، فقال له العابد ، قد أبطأت في الزيارة وجئتني بثلاث جنايات : بغضت الى آخي ، وشغلت قلبي الفارغ ، واتهمت نفسك .

السائرون في الركاب

يقول الشاعر :

عجبت لأهل العلم كيف تغافلوا
يجرون ثوب الحرص عند المهالك
يدورون حول الظالمين كأنهم
يطوفون حول البيت وقت المناسك

أعدها : أبو طارق

صلة الرحم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سره آن يبسط له رزقه ، أو ينسأ له في أثره ، فليصل رحمه) .

أخرجه البخاري

الرزق

تكفل الله سبحانه بأرزاق جميع خلقه حتى الدواب ، ولكن الناس كثيرا ما يتكالبون على الدنيا متناسين هذه الحقيقة ، ومما يروى في ذلك أن رجلا اشتكى الى أحد الزهاد كثرة عياله ، فقال له الزاهد : انظر من كان منهم ليس رزقه على الله فحوله الى منزلي .

عيسى عليه السلام .. واليهود

ولي أعرابي اليمن ، فجمع اليهود ، فقال : ما تقولون في عيسى ؟
قالوا : قتلناه وصلبناه ، فقال : لا تخرجوا من السجن حتى تؤدوا ديته .
والقرآن يقول : **(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)** .
ولكنهم على أية حال قتلة أنبياء الله ورسله كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم .

قصير ... وأقصر منه

جلس كسرى يوما للمظالم ، فتقدم إليه رجل قصير ، وجعل يقول : أنا مظلوم ، وهو لا يلتفت اليه .
فقال الوزير : أنصف الرجل ، فقال : إن القصير لا يظلمه أحد .
فقال الرجل : أصلح الله الملك ، إن الذي ظلمني أقصر مني .

حكم الإسلام في طفل الأنابيب

للدكتور احمد الحجي الكردي

الحمد لله رب العالمين وخالقهم ، والصلاة والسلام على أشرف من أرسل إليهم ، وعلى آله وأصحابه والتابعين . وبعد :

فقد قرأت المقال الذي نشرته مجلتكم الكريمة « الوعي الاسلامي » في العدد/١٦٧/ منها عن طفل الأنابيب للدكتور أحمد شوقي ابراهيم ، فتحفزت مرات وأنا أقرأ فيه الى مناقشته ، إلا أنني تصبرت ، وما أن أتممت قراءة المقال حتى وجدت في آخره ملاحظة للوعي الاسلامي ترحب فيها بتلقي المناقشات حوله كي يتضح الأمر وتسطع شمس الحقيقة ، فتأكدت عند ذلك الرغبة في المناقشة والاستدراك .

كما أشير إلى أنني قبل بضعة أشهر قرأت في العدد /٢٣٢/ من مجلة العربي الكويتية مقالا للدكتور يوسف القرضاوي تحت عنوان « قضايا علمية تنتظر أحكامها الشرعية » في نفس الموضوع المطروح هنا ، وقد أثار ذلك المقال وقتها في نفسي من المشاعر والرغبة في المناقشة مثل ما أثاره هذا المقال ، إلا أن الوقت لم يسعفني للقيام بالواجب .

إنني أقرر أن هذا الموضوع جديد ولم يطرقه أحد من فقهاء السلف — فيما أظن — ولهذا كان من الصعوبة بمكان البت فيه بحكم قاطع جازم ، إلا أنه ليس لهذه الصعوبة أن تثني فقهاء العصر عن الخوض فيه وبذل الجهد في الوصول الى حكمه في الشريعة الاسلامية ، بل إن الخوض فيه أصبح واجبا بعد ما تم إحراز تقدم كبير في أبحاثه لدى الطب الحديث ، وقد كنت ناديت بذلك قبل بضع سنوات في مقال نشرته مجلة الوعي الاسلامي في عددها رقم/٨٣ تحت عنوان « حكم الاسلام في التلقيح الصناعي » .

والحل الأمثل عندي ألا يبت في هذا الموضوع الخطير برأي شخصي مهما بلغ صاحبه من العلم والنزاهة والتقى ، وذلك لخطورة الموضوع وصعوبته وتشابه الأدلة فيه ، ولكن يجري البحث فيه من قبل جماعة من الفقهاء المتخصصين المأمونين في دينهم ، يجتمعون من أجل ذلك ، ثم

يعمل فيه بما ينتهون اليه من الحكم ، وإذا كان هذا الجمع متعذرا لبعض الوقت لظروف خاصة فلا أقل من أن يستكتب فيه جماعة من أولئك المشار اليهم ثم ينشر ما يكتبون بطريقة أو بأخرى وتتقبل المناقشات حوله ثم تنشر كذلك ، وفي النهاية لا بد أن يصل البحث الى نتيجة ويتضح الحق والصواب ، واذا كان ما قرأته في مجلة العربي ومجلتكم الموقرة باكورة لما أشرت اليه من الاستكتاب فانه باكورة طيبة وطريق مأمونة باذن الله تعالى .

وإذا كان لا بد لي من المشاركة والمناقشة لما تقدم فانني اكتفي الآن بوضع بعض إشارات في معالم الطريق الطويلة الى الوصول الى الحكم الصحيح في هذا الموضوع الخطير وهي :

١ ـ إن اتباع طريق التلقيح الصناعي « نقل النطفة من الرجل الى رحم زوجته بطريقة آلية » وكذلك طريقة طفل الأنابيب « وضع البويضة في أنبوب وتلقيح هذه البويضة بحوين الرجل » سوف يتطلب دون شك كشفا لعورة الرجل وعورة المرأة المغلظتين أمام الطبيب الأجنبي عنهما ، وهو أمر محرم بنصوص القرآن والسنة القاطعة التي لا لبس فيها .

نعم إن كشف العورة يباح لضرورات طارئة ، إلا أن هذا العمل ليس من تلك الضرورات بكل تأكيد مهما كان الدافع والداعي اليه ، لعدم استجماعه شروطها وقيودها .

٢ ـ إن الوصول إلى ذينك الأمرين سوف يتطلب تهييجا للرجل وإثارة لغريزته الجنسية فيه أمام الطبيب الأجنبي عنه ، وربما احتاج الأمر الى ما هو أبعد منه وأكثر فحشا ، وإلا لم يمكن الحصول منه على النطفة ، وفي ذلك خروج عن حدود اللياقة والخلق الكريم وقواعد الدين الحنيف ، بل عن حدود الانسانية إلى الحيوانية .

٣ ـ انه طريق مفروشة بالذرائع والشبهات ، فلربما بدل الطبيب نطفة الزوج بنطفة أخرى غيرها ، أو بدل بويضة المرأة ببويضة غيرها عن عمد وسوء نية ، أو عن خطأ ، فتشتبه بذلك الأنساب وتختلط ، وهما مما يحتاط له الدين الاسلامي كل الاحتياط ، وكذلك الخلق العربي الأصيل ، وهذا التبدل أمر وارد مع انتشار هذه العملية وعمومها في الأوساط وقلة الأمانة لدى بعض من يمتهنونها ، ومعلوم أن سد الذرائع من قواعد الاسلام .

٤ ـ ربما تسببت هذه العمليات في تغييرات جذرية في نفس الطفل أو خلقه أو خلقه ، مما يعود عليه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه بأفدح الأضرار ، وهو أمر متوقع بل مظنون ، ولنتصور الآن أعدادا كبيرة من المشوهين في خلقتهم أو خلقهم في مجتمع ما ، كيف يكون معه حال هذا المجتمع ، وربما كانوا هم القادة فيه في يوم من الأيام .

٥ ـ أي كرامة تبقي لطفل يعلم أنه تكون في أنبوب أو نقل من أبيه الى أمه في أنبوب ، وإنه مشكوك في نسبه إلى أبويه إن ظنا أو وهما ، ما هو موقف هذا الطفل من نفسه أمام الأطفال

الطبيعيين الآخرين ؟ وأي موقف له من والديه أمام إخوته وأبناء عمه الطبيعيين ، بل أي نظرة سوف ينظر بها الأبوان والأقارب إلى هذا الطفل الصناعي ، ولربما أطلق عليه في المستقبل فعلا « الطفل الصناعي » ، ولربما قسم علماء الاجتماع الأطفال الى قسمين : أطفال طبيعيين وأطفال صناعيين ، وذلك إذا ما انتشرت هذه الطريقة وعمت في الانجاب .

ومعلوم أن أجمل ما يميز به القرآن الكريم الانسان عن غيره من الحيوانات الأخرى هو الكرامة : **(ولقد كرمنا بن آدم)** الاسراء / ٧٠ .

ثم ان نقاء النسب من أشرف ما يتشرف به العربي ويحرص عليه وهو ما أقره الفقه الاسلامي ورعاه ، وفي اللجوء إلى هذا الطريق إثارة للشبهات في صحة الأنساب ونقائها . وخروج على هذا المبدأ المعتبر .

٦ ـ ما هو الداعي الى التلقيح الصناعي أو التربية في الأنابيب بعدما تقدم من الصوارف والموانع ، هل هو ضرورة ملحة يجب أن يستهان بكل ما يمنع من تحقيقها ؟ وما هي هذه الضرورة ؟

أ ـ أهي الرغبة في تكثير النسل ، والعالم كله يشكو من الانفجار السكاني ؟

ب ـ أم هي الرغبة في تحسين الخلق بالتدخل في تغيير (الكروموزومات) في الخلية الأولى .

حـ ـ أم هي الرغبة في معرفة حال الجنين أذكرا أم أنثى ، وهو مما استأثر الله تعالى بعلمه : **(ويعلم ما في الأرحام)** لقمان / ٣٤ .

د ـ أم هي تطبيب نفس الزوجين العقيمين بتأمين الخلفة لهما ، وهو أمر إن صح الاعتناء به أتفه بكثير من أن يلتفت اليه بعد تهيب تلك الصوارف والموانع كلها عن تحليل هذه العملية ، سيما وان الله تعالى شاء أن يكون في الأمة عقيم فقال : **(ويجعل من يشاء عقيما)** الشورى / ٥٠ .

وأخيرا لا بد من التذكير بالقاعدة الفقهية الكلية « الأصل في الأشياء الاباحة ، والأصل في الفروج التحريم » ، ولهذا فان البحث الفقهي ينبغي ان يتجه إلى تلمس الدليل المبيح لهذه العملية ولا يكتفي منه بنفي الدليل المانع . وهو أمر بعيد العثور عليه ـ فيما أظن ـ .

وعلى كل فان ما قدمته لا يزيد على أنه نقاط وملاحظات ومعالم في طريق البحث عن حكم الله تعالى في هذا الموضوع الخطير ، وليس بحثا في ذاته ، وأرجو أن يتابع الفقهاء المعاصرون مناقشة هذا الموضوع بدقة ودراية ونزاهة على ضوء ما قدمت من ملاحظات والله تعالى من وراء القصد .

تعليق

ما زالت المجلة تنتظر المزيد من ردود السادة المتخصصين في المجالات الاسلامية على أمل التوصل الى نتيجة قطعية تقتنع بها الذهنية الاسلامية .

قالوا في الأمثال

برق لو كان له مطر :

مثل يضرب لخداع المظاهر . وكان العرب يستبشرون بالبرق لأن المطر يعقبه غالبا ، فاذا رأوا برقا ملأهم الأمل ، وتمنوا أن يتحقق فيمطر ، فاذا أخلف الظن تألموا لضياع ذلك الأمل . وهكذا لو توسم إنسان في رجل كرما أو شجاعة او وفاء ثم لم يجد منه ذلك . قيل في شأنه « برق لو كان له مطر » .

إياك أعنى واسمعي يا جارة :

مثل يضرب لخطاب غير المراد ليسمع المراد ..
فاذا أراد إنسان من آخر أمرا ولم يستطع توجيه الخطاب اليه مباشرة فانه يعمد الى خطاب إنسان آخر وغرضه من ذلك أن يسمع المراد بالخطاب أصلا وهنا يقال :
إياك أعني واسمعي يا جارة ...

رمتني بدائها وانسلت :

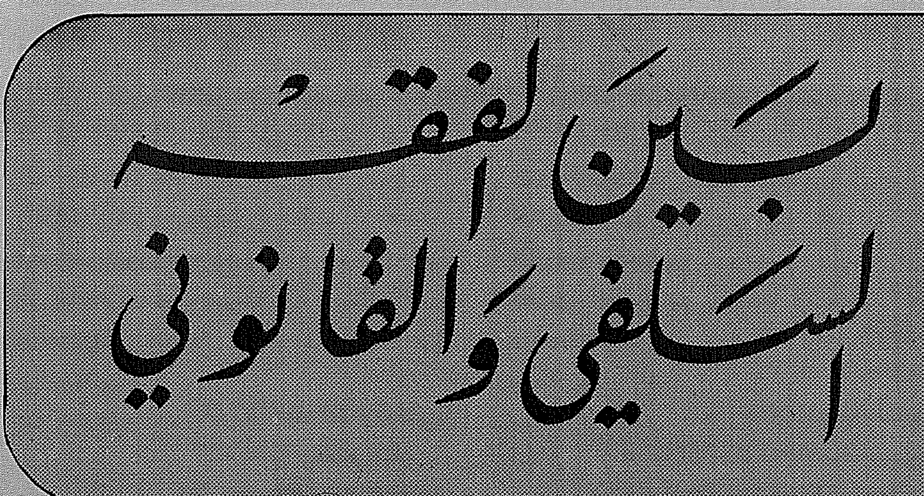
مثل يضرب لمن وصف غيره بعيب هو من صفات الواصف قالوا : تزوج رجل من العرب امرأة جميلة على ضرائر ، فكن يغرن منها ويحاولن إيذاءها ، فيسابينها بكلمة ليست فيها ، فكانت تتألم من هذا الافتراء ... وضاقت المرأة بضرائرها فشكت الى أمها ما يصنعن ، فعلمتها أمها أن تبدأهن هي بهذه الكلمة إذا ساببنها ، فارتقبت حتى اشتبكت إحداهن معها ، فبدأتها بتلك الكلمة فقالت ضرتها :
« **رمتني بدائها وانسلت** »
أي ألصقت بي ما بها وخرجت منه .



للأستاذ : سالم البهنساوى

نشرت لى مجلة الوعى الاسلامى أربعة أبحاث عن مشكلات الأسرة وكان آخرها البحث المنشور في شهر رجب ١٣٩٨هـ بعنوان الخلع وحماية حق المرأة بين الشريعة والقانون .

وفي شهر ذى القعدة ١٣٩٨هـ نشرت المجلة بحثا للمستشار الشيخ محمود الأزرق رئيس محكمة الاستئناف العليا سابقا ، جاء به عدة أمور تستلزم وقفة موضوعية ، وهذه الأمور هى :



أولا : مقابل الخلـع والتعسـف فيه :

استدل فضيلتـه بأقـوال لبعض الفقهاء تفيد أن للمرأة أن تفتـدى نفسها بجميع ما تملك ، ثم قال : (ولا وجه للاستدلال بحديث امرأة ثابت بن قيس فقد قال الفقهاء انه فتيا وليس حكما ، أو أن أخذ الاكثـر خلاف الأولى).

وهو بهذا لا يقر ترجيحى للرأى القائل ان حكم النبى صلى الله عليه وسلم هو رد المهر فقط .

ولا يقر قولى (بتناقض القانون مع نفسه لأنه يبيح الطلاق للضرر دون أن تتحمل الزوجة شيئا ، فكان الأولى أن ينص القانون على اختصاص القاضى بالحكم بالخلع ، اذا عرضت الزوجة المقابل العادل ورفضه الزوج وتحقق الموجب للخلع).

وقد استند الى أقوال في الفقه تجيز أخذ الزيادة عن المهر وتستدل بقول الله تعالى : **(فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به)** البقرة/٢٢٩ . ويـؤكد رأيه بقوله : « فالآية دليل على جواز أخذ الزوج في مقابل الخلع اكثر مما أعطى ، لا كما جاء في البحث من أنها تدل على عدم الجواز » ذلك ان قوله تعالى : **(فلا جناح عليهما فيمـا افتدت به)** عام يشمل كل ما يجوز الافتداء به ، زاد عما دفعه الزوج أو نقص أو ساواه).

والجواب على ذلك بايجاز هو :

١) أن حديث ثابـت بن قيس ورد بروايات أخرى تمنع أخذ الزيادة عن المهر ومن ذلك :

أ — أخرج ابن ماجه بسنده عن ابن عباس « أن جميلة بنت سلول أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ما

أعتب على ثابت في دين ولا خلق ، ولكنى اكره الكفر في الاسلام ، لا أطيقه بغضا ، فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : أتردين عليه حديقته (كانت هى مهرها) قالت : نعم فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد » . والحديث أخرجه أيضا النسائى والبيهقى .

ب ـ رواية ابن الزبير عند الدارقطنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أتردين عليه حديقته التى أعطاك ، قالت : نعم وزيادة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم :

أما الزيادة فلا ، ولكن حديقته ، قالت : نعم : فأخذها له وخلى سبيلها ، فلما بلغ ذلك ثابت بن قيس : قال : قد قبلت قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم).

والحديثان رويا عن طريق الثقات ومن رجال الصحيح ـ نيل الأوطار للشوكانى ـ كتاب الخلع) ٧٨ .

٢) أن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا البيان قد صرح بأن حكمه وهديه أن يستحق الزوج عند المخالفة المهر فقط ، فلا مجال بعد ذلك للاحتجاج بعموم قول الله تعالى : **(فلا جناح عليهما فيما افتدت به)** لأسباب أهمها :

أ ـ ان هذا العموم مسبوق بقوله تعالى : **(ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ألا أن يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به).**

فظاهر النص القرآنى أنه لا يحل أن يأخذ الزوج شيئا مما أعطاه وأنه عند الخوف من عدم استقامة الحياة الزوجية فلا جناح فيما افتدت به الزوجة نفسها ، وهذا مؤداه أن مقابل الخلع هو المحدد في قول الله (مما آتيتموهن) وهذا لا يفيد الوفاء بأكثر من المدفوع .

ب ـ كما أن العموم في قول الله تعالى : **(فيما افتدت به)** مخصص بهذه الاحاديث النبوية (التى جعلت الفداء في حدود المهر ولا يتعداه).. وفي هذا قال الشوكانى : (لا يخفى أن الروايات المتضمنة النهى عن الزيادة مخصصة لهذا العموم).

٣) حكم النبى صلى الله عليه وسلم في قضية زوجة ثابت بن قيس ، وقد أورد فضيلة الشيخ بشأنه تأويلا (بأنه فتيا وليس حكما) وهذا التأويل ولد ميتا ، لحقائق أظهرها :

أ ـ أن الروايات السابق ذكرها ورد فيها عبارة (فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ حديقته ولا يزداد) والأمر ليس فتيا كما ورد قول ثابت (قد قبلت قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم) والقضاء ليس من الفتيا .

ب ـ أن وصف النبى صلى الله عليه وسلم بالمفتى يخالف الواقع الذى دلت عليه النصوص ، فالنبى صلى الله عليه وسلم يشرع عن الله وقاض يحكم بين الناس بشرع الله وحاكم ينفذ فيهم جبرا عنهم ولا مجال أبدا

أن يقترن تصرف لحضرته صلى الله عليه وسلم بوصف الفتوى ، ولا مجال للقول ان المرأة كانت تطلب الرأى والفتوى لا الحكم والقضاء لأن زوجها صرح بقبوله هذا القضاء .

ج ـ ما تمسك به شيخنا في قوله : (قال الفقهاء انه فتيا وليس حكما) ليس تنزيلا من لدن حكيم خبير حتى نتبعه وندع صريح الاحاديث النبوية الشريفة لأنه لا اجتهاد مع النص .

ثانيا : علاج التعسف في المخالفة :

استهجن فضيلة الشيخ الأزرق أن أقول ان القوانين العربية تناقضت حيث نص فيها على أن الخلع لا يكون الا برضاء الزوج دون أن تعالج التعسف (بأن تلجأ الزوجة الى القاضى). وكان سنده في ذلك قوله : (وما جاء بالقوانين التى أوردها الكاتب فيما يتعلق بالخلع مصدره الفقه الاسلامى اذ الفقهاء مجمعون على أنه لا يتم الا برضاء الطرفين ، فاذا امتنع احدهما عن الخلع ، فلا يجبر عليه ، واذا اريد احداث تشريع يجيز للقاضى ان يجبر الزوج على الخلع فمن أين يستمد هذا التشريع ؟ ثم قال : (على أن الفقه حين قرر أنه ليس لأحد الاجبار على الخلع لم يترك الأمر من غير علاج كما يقول الكاتب بل أباح للزوجة ان كانت مظلومة أن تلجأ الى القضاء طالبة التطليق . فالحياء لا يمنع المرأة ان تدلى بحجتها وتثبت انها مظلومة .

والجواب على ما سلف هو :

١ ـ لم أقل ان الفقه قد ترك الأمر بغير علاج بل قلت ان القوانين العربية تناقضت ، وأما قول شيخنا ان القوانين المذكورة مصدرها الفقه الاسلامى فليس مبررا لأن يجعل طعنى على القوانين العربية طعنا على الفقه الاسلامى .

٢ ـ ومع هذا فالفقه مصدر شرعي ولكن في حدود دلالات ألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية دون تأويل .

٣ ـ أن مخالفة آراء اكثر الفقهاء ليست تشريعا جديدا اذا كانت المخالفة تستند الى الكتاب او السنة أو اجماع الصحابة او القياس الشرعى ، وعلى هذا الأساس عدلت القوانين العربية عن فقه المذاهب الاربعة في أمر الطلاق المعلق وطلاق الثلاث استنادا الى أقوال كانت مرجوحة عند الائمة الأربعة ولكنها راجحة بمطابقتها للمصادر الشرعية ، فاعتبرت القوانين طلاق الثلاث طلقة واحدة ، وأبطلت الطلاق اذا كان قصد الحالف حمل نفسه أو غيره على فعل شئ أو تركه وذلك كان خلافا لفقه المذاهب الأربعة المشهورة ، فهل ابتدع العلماء هذه الاحكام ؟ وهل مخالفة هذه المذاهب خروج على شريعة الله ؟

٤ ـ ان ما اقترحته ليس تشريعا مبتدعا بل هو علاج لمشاكل لم تكن شائعة عند تدوين الفقه وأظهرها ان يتفق الزوجان على الخلع ثم يختلفا في مقدار العوض الذى تتحمله الزوجة

ويكون ذلك سبب الخلاف وتعسف الزوج فهنا يجب ان يكون للقاضى دور اختصاص ولقد اسندت ذلك الى بعض الفقهاء ولم أقل عندى كذا بل قلت : (ان القوانين لم تنص على اختصاص القاضى بالأمر اذا لم يستجب الزوج وتحقق موضوع الخلع وشرعيتـــه ، بينما قال بذلك فقهاء أقدمون فقد جاء في كتاب السرائر: الشيخنا أبي جعفر : وانما يجب الخلع اذا قالـت المرأة لزوجها انى لا أطيع لك أمرا وقال ابن رشد : « والفقه ان الفداء انما جعل للمرأة في مقابل ما بيد الرجل من الطلاق ، فانه لما جعل الطلاق بيد الرجل اذا فرك المرأة وكرهها جعل الخلع بيد المرأة اذا فركت الرجل)ـ بداية المجتهد جـ ٢ . وقال أمـــير المؤمنين عمر بن الخطاب : (اذا اراد النساء الخلع فلا تكفروهن) سنن البيهقى جـ ٣ .

لهذا كان مما اقترحتـــه في هذا البحث أن يكون للقضـــاء دور اذا تحققت موجبات الخلع وامتنع الزوج عن ذلك وباشتراط مقابل غير عادل ابتغاء الاثراء على حساب سعـــادة المرأة ، واستشهدت بالآثار السابقة التى تستند الى هدى النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان مما ورد بالبحث (ان حكم النبى صلى الله عليه وسلم في قضية زوجة ثابت بن قيس قد كشف عن هذا المبدأ وأكد هذا الحق اذ أمر الزوج بالتطليق في مقابل رد الزوجة المهر فقط).

وأما أقوال الفقهاء التى يستشهد بها شيخنا فلا تبطل هذا الحكم ولهذا ورد في البحث ما نصه (واذا كان الفقهاء وأصحاب المذاهب الفقهية لم يتناولوا هذه المسألة بهذا التحديد ، فما ذلك الا لتوفر الصدق والتقوى في عصرهم كما كان الحال في عصر النبى صلى الله عليه وسلم الأمر الذى جعل زوجة ثابت بن قيس تستهل قضيتها بقولها : لا أعيب على زوجى في خلق ولا دين). كما كتبت أيضا : (مع هذا فحق المرأة في الخلع على النحو الذى ذكرنـــاه نجـــده عنـــد هؤلاء الفقهاءبألفاظ وتعبيرات أخرى فقــد قال الامام مالك في المفتدية ــ التى تفتدى من زوجها ــ: (انه اذا علم أن زوجها أضر بها وضيق عليها وعلم أنه ظالم لها ، مضى الطلاق ورد عليها ما لها فهذا الذى كنت أسمع والذى عليه أمر الناس عندنا) تنوير الحوالك جـــ ٢ كتاب الطـــلاق باب ما جاء في المختلعة . والفرق بـــين هذا ومـــا اقترحته أننى جعلت تكييف القضية خلعا تتحمله الزوجة برد المهر .

٥ ــ اذا كان هذا غير منصوص عليه في القوانين العربية فلا يعصمها من الخطـــأ أن تنص في مذكرتهـــا الايضاحيـــة أن مصدرهـــا الفقــه الاسلامى واذا كان مشروع القانون الكويتي ــ الذى اشتـــرك شيخنـــا الأزرق في وضعه وانتهت اليه رئاسة لجنته ــ لم يعالج هذه المسألة اكتفاء بأن حقها في رفع العنت والظلم يكون باثبات الضرر امام القضاء .

وما اقترحته يعتبر علاجا لمشكلة

لم يعالجها باب التطليق للضرر لأنه اذا لم تثبت الزوجة هذا الضرر فان النتيجة هى ما قاله شيخنا في تعقيبه بلفظ (اذا لم تبين أسباب تضررها امام القضاء فلا تسمع لها دعوى ولا يقبل لها قول).

ان المشكلة التى لم يعالجها حكم التطليق للضرر ليست هى حياء الزوجة حتى يقول شيخنا : (وليست النساء في هذا الزمن بأكثر حياء من زوجات الصحابة).

بل تكمن المشكلة في أن مصلحة الأولاد ومستقبلهم قد تكون بالاكتفاء بالخلع حتى لا تذكر أسباب تسئ الى الزوج وتضر مستقبل أولاده أو زوجته .

فاذا تعسف الزوج في المخالعة واشترط مقابلا غير عادل فان الاسلام قد عالج ذلك فيما سلف ذكره .

٦ ـ كما أن فقه الامام مالك قد عالج ذلك بصورة أخرى فنص على أنه اذا اضطرت المرأة للمخالعة وتحملت التزامات ليست واجبة عليها فللقضاء أن يسقط عنها هذه الالتزامات ولا يشترط في الاثبات شهادة القطع بل شهادة السماع ، فقد جاء في حاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٢ ص ٣٥٦ : (ورد الزوج المال الذى خالعها به وكذا يسقط عنها ما التزمته من رضاع ولده أو نفقة حمل أو اسقاط حضانة ، حيث طلبت ذلك وادعت بعد المخالعة أنها ما خالعته الا لضرر يجوز لها التطليق به بشهادة سماع ـ ولا يشترط في هذه البينة السماع من الثقات وغيرهم ، بل لو ذكرت أنها سمعت من الخدم ونحوهم ، عمل على شهادتها ورد المال المخالع به لها ، بيمينها مع شاهد واحد او امرأتين).

فاذا كان الفقه قد عالج التعسف في المخالفة باسقاط التزامات المرأة كلها اذا ما استندت الى الضرر لشهادة من لا تقبل شهادتهم ، فانه من باب أولى أن يعالج التعسف في المخالفة على النحو الذى فصله البحث استنادا الى حكم النبى صلى الله عليه وسلم في قضية زوجة ثابت بن قيس فلم يعلق الخلع على ارادة الزوج ، وقال الفقهاء عن ذلك انه أول خلع في الاسلام .

ثالثا : المخالعة وحماية حق الطفل :

أبى علينا شيخنا أن كتبنا ما نصه : (ولا يجوز أن يكون مقابل الخلع هو تنازل الأم عن حضانة الطفل لأن هذا من حق الولد ، وبقاؤه عند أمه أنفع له ، فان خالعته على أن تترك الولد عنده فالخلع جائز والشرط باطل ـ المبسوط للسرخسى جـ ٦ ، وبهذا أخذت المادة/٨٨ من مشروع القانون الكويتي .. الخ).

والذى دفع شيخنا للتعقيب والرد هو قوله عنى : (أطلق القول وجزم به مما يفهم منه أنه الرأى الوحيد في الفقه الاسلامى والأمر ليس كذلك فان الرأى المذكور أحد رأيين راجحين في مذهب الحنفية ، أما المذاهب الأخرى

فتجيز للأم أن تتنازل عن حضانة صغيرهـا نظـير الخلـع وفي غـير الخلع ..).

ونقل أقوالا للفقهاء منها ما جاء في الشرح الكبير (وجاز الخلع باسقاط حضانتها) وما جاء في الحاشيـة (هذا مقيد بألا يخشى على المحضون ضرر اما بعلوق قلبه بأمه أو لكون مكان الاب غير حصين والا فلا تسقط الحضانة حينئذ اتفاقا).

ثم قال شيخنا (وهذا نص في أن الاصل جواز اسقاط الأم حضانتها للصغير نظير الخلع ولا يمتنع السقوط الا اذا ترتب على ذلك ضرر للطفل).

والجواب على ذلك بايجاز شديـد هو :

١) أن أقوال الفقهاء ليست نصا في اسقاط حضانة الأم حتى ولو كان هو رأى الجمهور ، لأن الفقهاء ينحصر دورهم في الكشف عن المستند الشرعى من القرآن أو السنة النبوية ، وهم في هذا يرجحون ما كان ظنى الدلالة من هذه النصوص ، وترجيحهـم ليس بذاته نصا في المسألة ولا يغنى عن النص الشرعى وهو القرآن أو السنة ، بل ان الاجماع والقياس مصدران تابعان للقرآن والسنة ولا يستقلان بالتشريع . والنص في الحضانة أصلا هو حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ونصه أن : (امرأة قالت يا رسول الله ان ابنى هذا ، كان بطنى له وعاء ، وحجرى له حواء ، وثديى له سقاء ، وزعم أبوه أنه ينزعه منى فقال : أنت أحق به ما لم تنكحى). رواه احمد وأبو داود وفي لفظه (وأن أباه طلقنى وزعم أنه ينتزعه منى).

٢) والنص أيضا هو ما أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى عن ابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم خير غلاما بين أبيه وأمه .

ولا يخفى على أحد أن التخيير لا يكون الا في سن التمييز وبالتالى فالأم أحق بالطفل قبل هذا السن بالحديث الأول والطفل له حق اختيار أحد أبويه منذ سن التمييز بالنص الثانى ولا تعارض بينهما ، مع وجود آراء أخرى ولكنها تخالف هذا الظاهر وهـذا لاوجه لمناقشتها .

٣) تأسيسا على ذلك فلا يجوز أن يكون مقابل الخلع تنازل الأم عن حضانة الطفل ، ولئن قيل ان هذا ليس هو الرأى الوحيد في الفقه حتى نجزم به ، فان القطع والجزم بذلك هو ظاهر الحديث النبوى وهـو الأولى بالاتباع .

ومع هذا ، فان في اسنادنا هذا الرأى للسرخسى والقـول باختيـار المشرع الكويتى له يوحى بوجود آراء أخرى ولكن لم أعول عليها واكتفيت في البحث بالقول انه : (قد يقال ان صحة العقـود مع بطـلان الشروط الفاسدة قد يكون محل طعـن بأن العاقد ما رضى الا مقابل الشرط فان ألغى الشرط فات رضاه بالعقـد ، والجواب على ذلك هو ان الله الذى اعتبر الرضا وجعله شرطا في صحة العقود هو الذى حكم بصحتها مع

بطلان الشرط الفاسد).
وبعد فان اختلاف الفهم أمر طبيعى ولا يفسد للود قضية وبالله تعالى نعتصم ونتأيد .

وقد جاءنا التعليق التالى على هذا التعقيب من فضيلة الاستاذ الشيخ محمود الأزرق والمجلة تكتفى بهذا ليكون نهاية للحوار الذى دار بين الكاتبين :ــ

في عدد رجب سنة ١٣٩٨ من المجلة نشر بحث تحت عنوان (الخلع وحماية حق المرأة بين الشريعة والقانون) .
وقد عقبت على هذا البحث بما هو وارد بعدد ذى القعدة سنة ١٣٩٨ . وقد أرسل الباحث ردا جعل عنوانه (حماية حق المرأة بين الفقه السلفى والقانونى).ولما علمت بالرد طلبت الى ادارة المجلة ان أعقب عليه فأجابتنى مشكورة .
وسوف ألتزم في ردى ما التزمته في تعقيبى السابق من ايراد نصوص الفقهاء . وشراح الحديث من غير أن (أرجح) أو (أجتهد) وحسبى ذلك عسى أن أدخل في زمرة من ورد فيهم الأثر (رحم الله امرأ عرف قدر نفسه).
ابتدأ الكاتب رده بقوله (وهو بهذا لا يقر ترجيحى للرأى القائل إن حكم النبى صلى الله عليه وسلم (هو رد المهر فقط (في الخلع) ولا يقر قولى (تناقض القانون مع نفسه) مما هو مذكور قبل .
ثم قال . إن حديث ثابت بن قيس ورد بروايات أخرى وأورد رواية ابن عباس له (وفي آخره) (فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد) وأورد رواية ابن الزبير (وفي آخره) أن ثابت بن قيس قال : (قبلت قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي الحديث أن الرسول الكريم قال (أما الزيادة فلا) وبعد أن بين وجه استدلاله بالروايتين قال (وقد أورد الشيخ بشأن الحديث تأويلا (أنه فتيا وليس حكما) وهذا التأويل (ولد ميتا لحقائق ، أظهرها) أن وصف النبى صلى الله عليه وسلم بالمفتى يخالف الواقع الذى دلت عليه النصوص . فالنبى صلى الله عليه وسلم يشرع عن الله وقاض يحكم بين الناس بشرع الله وحاكم ينفذ فيهم جبرا عنهم ولا مجال أبدا ان يقترن تصرف لحضرته صلى الله عليه وسلم بوصف الفتوى . ولا مجال للقول إن المرأة كانت تطلب الرأى والفتوى . لا الحكم والقضاء لأن زوجها صرح بقبول هذا القضاء) .
وما ذكرته من أن الحديث كان فتيا من الرسول صلوات الله عليه . لم يكن من (عندى) ولا رأيا لي . وإنما هو رأى الأئمة الأربعة . مالك إمام أهل المدينة وصاحب الموطأ . وأبى حنيفة ذى الرأى الثاقب والبصيرة النافذة . والشافعى ذى البيان الناصع والعربى العارف بأساليب

العرب . وأحمد بن حنبل صاحب المسند وهو رأى من تابعهم . وهم أكثر المسلمين في شتى أنحاء الأرض . فهل هؤلاء الأئمة لم يدركوا ما أدركه الكاتب ؟ ولم يصلوا الى ما وصل اليه ؟ وإنى أورد بعد رأى الأئمة رأى الشراح ، لحديث ثابت بن قيس ، جاء في الجزء التاسع . من فتح البارى بشرح صحيح البخارى ص ٣٢٩ط (البهيه المصرية سنة ١٣٤٨هـ) ما يأتى (قوله : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة . هو أمر إرشاد وإصلاح . لا إيجاب) هذا ما قال عنه الكاتب إنه تأويل ولد ميتا) أى ان قول الأئمة الاربعة وقاضى القضاة الحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى الشافعى شارح البخارى ولد ميتا !!! كما قال إنه ليس تنزيلا من حكيم خبير حتى نتبعه وندع صريح الاحاديث النبوية الشريفة لأنه اجتهاد مع النص . وهذا يعنى أن الكاتب لا يأخذ برأى الائمة وشراح الحديث ولا يتبعهم لأن رأيهم ليس تنزيلا من حكيم خبير . بل هو يدع رأيهم الى مايفهمه هو من صريح الأحاديث . ورأيهم اجتهاد مع النص كما أن رأيهم وقواعدهم محكومة بالنصوص الشرعية وليست حاكما لها . ثم استدل على أن فهمه في الحديث هو المعول عليه بقول ابن عباس رضى الله عنه . (نقول . قال الله ورسوله . وتقولون . قال ابو بكر وعمر . ألا تخشون أن يخسف الله بكم الأرض) هكذا قال . وفاته أن مثل هذا القول مقبول من عبدالله بن عباس الذى دعا له الرسول صلوات الله عليه بالفهم والفقه والذى هو ترجمان القرآن والصحابى الذى روى عن الرسول وعرف الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والذى هو من أبلغ العرب وأفصحهم وأعرفهم بأساليبهم وما تدل عليه العبارات والألفاظ . فقول ابن عباس وأمثاله على العين والرأس ولمثله ان يقول هذا القول ، فما موضع الاستدلال بقول ابن العباس ؟؟ أيريد الكاتب أن يسلك نفسه مع ابن عباس وأمثاله ؟ إن كان الأمر كذلك فليس لى معه قول ..

وردا على ما قلته في التعقيب من أن الفقهاء مجمعون على أن الخلع لا يكون الا برضا الزوجين . وأن الفقه الاسلامى عالج تضرر الزوجة من زوجها بلجوئها الى القاضى .. الخ قال : لم أقل ، إن الفقه قد ترك الأمر بغير علاج ، بل قلت إن القوانين العربية فيها تناقض فالطعن على القوانين ليس طعنا على الفقه . وما قلته أنا في التعقيب هو أن القوانين مصدرها الفقه الاسلامى . فاذا طعن عليها الكاتب ألا يكون طعنا على مصدرها وهو الفقه ؟؟ ثم قال : إن الفقه ليس مصدرا شرعيا إلا في حدود دلالات ألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية دون تأويل .

يريد الكاتب أن يقول إن الفقه مصدر شرعي ولكن في حدود ألفاظ القرآن الكريم ، فهل الأئمة ومن

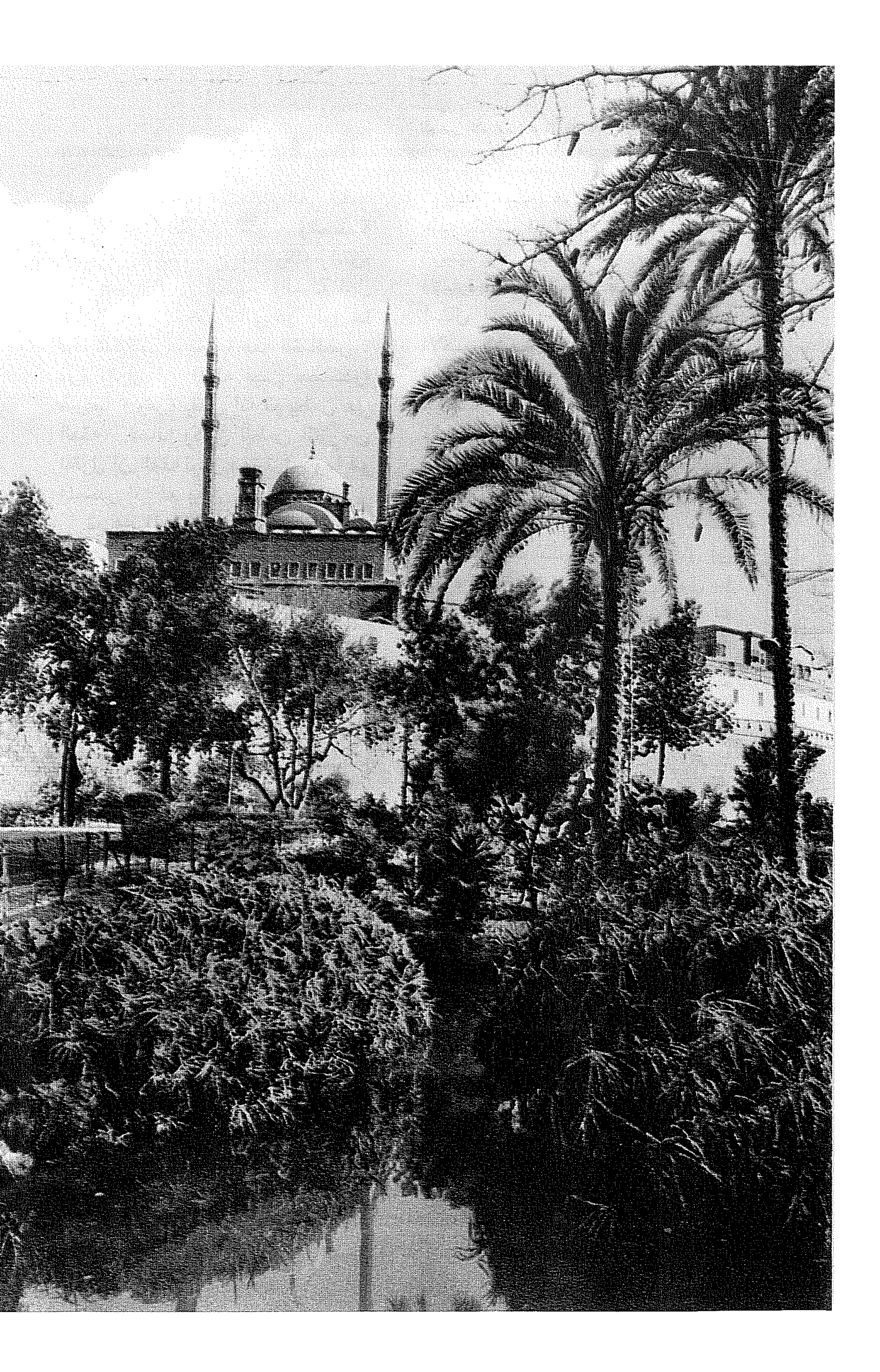
تابعهم استنبطوا الاحكام التى قالوا بها إلا من القرآن الكريم والسنة النبوية ؟ كلهم صرح بذلك وكلهم التزم نصوص القرآن الكريم والسنة فهل حادوا عن ذلك حتى يأتى من يقول ما قاله الكاتب ــ ثم ما هذا التناقض ؟ مرة يقول ان الفقه ليس مصدرا شرعيا ؟ ومرة يقول إنه لم يطعن على الفقه . فماذا يكون الطعن أكثر من القول إن الفقه ليس مصدرا ؟ وما هو المصدر إذا لم يكن الفقه ؟

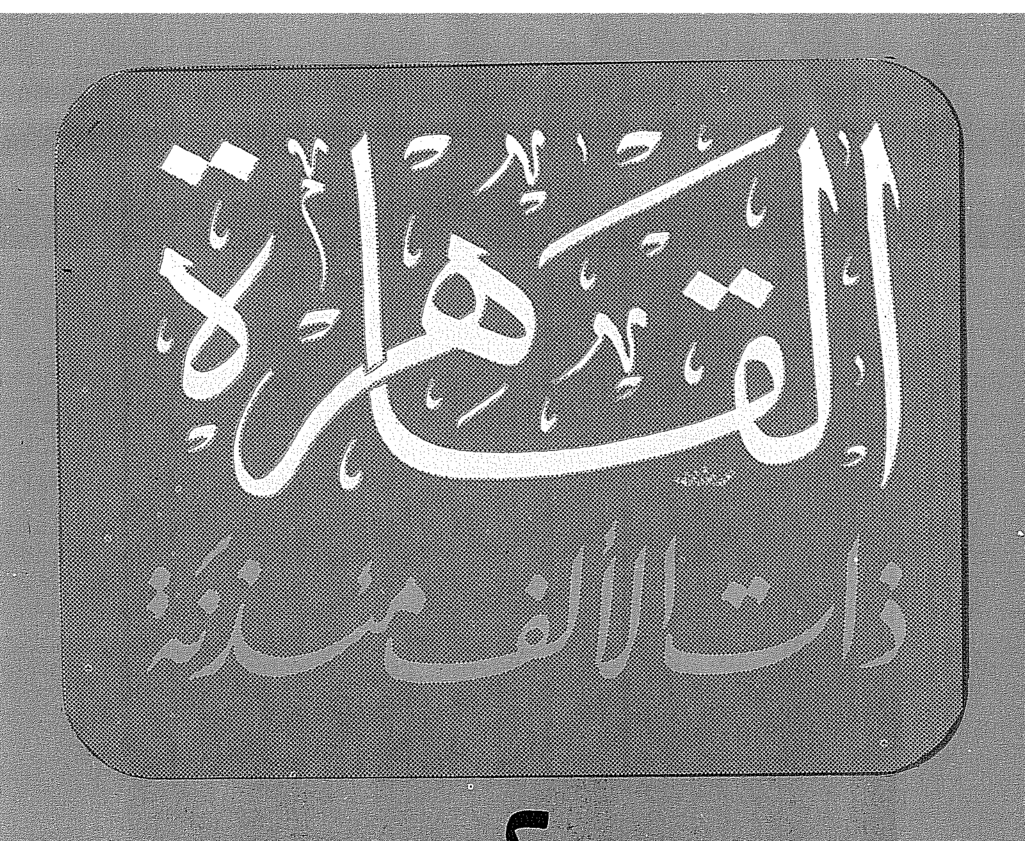
ثم عاد الى القول ، إن مخالفة أكثر الفقهاء ليست تشريعا جديدا اذا كانت المخالفة تستند الى الكتاب والسنة والاجماع او القياس الشرعى .

ولم يقل لنا الكاتب من الذى له حق المخالفة ؟. ما هى مؤهلاته ؟ أيعرف كتاب الله وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه ومطلقه ومقيده وما الى ذلك ؟. أيعرف أحاديث الأحكام ودلالتها وناسخها ومنسوخها . أله حظ في البلاغة ؟ وقدم في البيان يدرك به أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية ؟ أيعرف ما أجمع عليه العلماء وما لم يجمعوا ؟ إن كانت المخالفة ممن اجتمعت له هذه الأوصاف فهو مجتهد من حقه ان يخالف وأن يقول (عندى كذا) (ورأيى كذا) فان لم يتوفر له هذا القدر فلا يجوز له الافتاء برأيه .

ثم قال ، إن ما اقترحته ليس تشريعا مبتدعا بل هو علاج لمشاكل لم تكن شائعة عند تدوين الفقه وهذا ليس صحيحا . بل الخلاف بين الزوجين موجود من بعيد . وأكبر دليل عليه خلاف امرأة ثابت بن قيس مع زوجها وقد تنبه الى علاج مشكلات الأسرة أئمة أعلام في عصرنا الحاضر أمثال الامام محمد عبده والاستاذ الأكبر الشيخ المراغى صاحب الباع الطويل في علاج المشكلات وكثير غيرهما . ولم (يقترح) واحد منهم ما اقترحه الكاتب ولم يشر اليه من قريب أو بعيد . فهل غفل هؤلاء جميعا عما تنبه له الكاتب ؟ ولم كان باب الخلع في الفقه . وأمر القرآن ببعث الحكمين وقد أنكر الكاتب أنه قال إن حياء المرأة قد يمنعها من أن تقول ما تشكوه من زوجها . وردا عليه أنقل له عبارته فقد قال في بحثه (والاسلام . إذ يشرع نظام الخلع . إنما أراد علاج مشكلة . قد تعجز المحاكم عن علاجها ، وذلك اذا لم ترغب الزوجة في ذكر أسباب طلب الانفصال . إما حفاظا على الأسرة والأولاد . أو لأن حياءها يمنعها من ذلك) ولما قيل في الرد عليه ، إن النساء الآن لسن أكثر حياء من زوجات الصحابة . أنكر ما قاله ، هذا ما أردت الرد عليه ، أما ما عداه فقد أوردت في التعقيب عليه نصوص الفقهاء فلا حاجة الى إعادتها ولأن للكاتب رأيا غير آرائهم كما هو واضح من رده فلا مقتضى للاستدلال بها ، والله يهدينا الى الصواب والسداد .

محمود الأزرق





٢

للاستاذ : عبد الغني محمد عبد الله

قاهرة اليوم ...

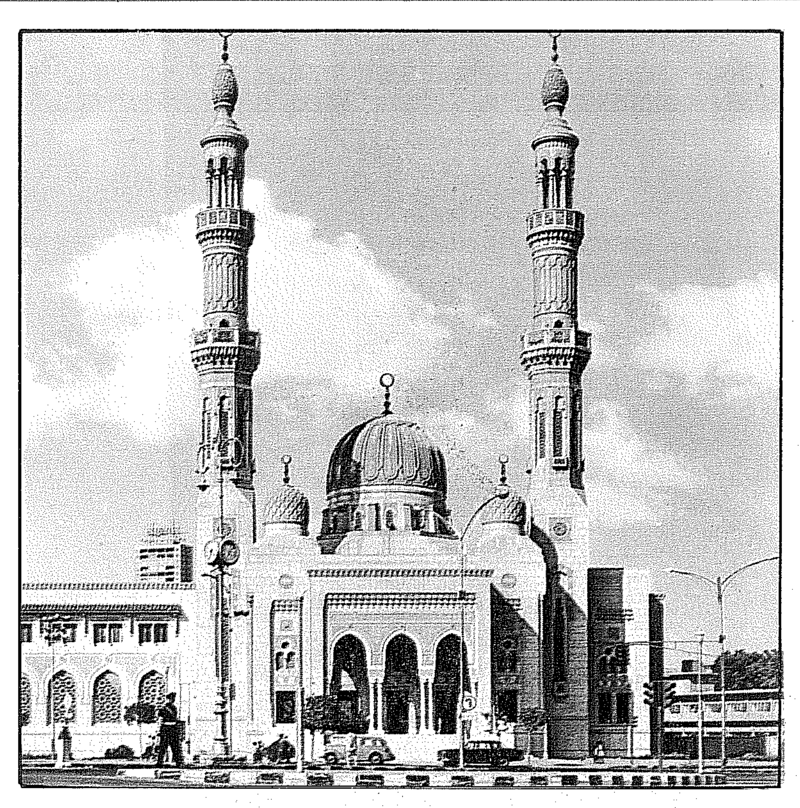
قاهرة اليوم ، مدينــة كبــيرة تضــم شوارع حديثــة ، وميـاديــن فسيحة الى جانب المدينة القديمــة متصلة بها ... واذا أردت زيارة هذه المدينة فعليك ان تزورهــا مبتدئــا بأجزائهــا القديمــة بحواريهــا ... وشوارعها التي تحمل رائحة التاريخ مارا بين اثارها المختلفة ، ثم تخرج منها مباشرة الى الجانب الحديــث بشوارعــه وميادينــه ومتاحفــه وحدائقه ... وان لم تر القديم فلن ترى القاهرة على حقيقتها ...

مدينة القاهرة اليوم ـ هي مدينــة الالف مئذنة واكثر ، مدينة مزدحمة آهلة بالسكان تعتبــر سادس مدن العالم كثرة وازدحاما ـ سبعة ملايين نسمة في مدينة واحدة تكتظ بهم ، وبالدور والعمارات الشاهقة . تدب فيها حركة الحياة كخلية النحل . كل فرد فيها عليه ما يقدمه في خدمــة المجتمع وله ما يقدمه المجتمع له ... المطاعم والمقاهي والعمائر الشاهقة على حافتي نهر النيل تحكي روعة البناء ، وفن العمــارة الحديــث ، ومحلات اخرى كثيرة لا عد لها ولا



○ مسجدي الرفاعي والسلطان حسن

حصر .
واجمل واعظم اللحظات تلك التــي نقضيها في القاهــرة خلال شهــر رمضان المعظم ... ونقف معا فوق قلعة الجبل في الشرفة الواقعة بين قصر الجوهرة وجامع محمد علي ـ قبــل اذان المغرب بوقت قليل ـ وهناك في مصر يتم الاعلان عن ميعاد الافطار بوســائــل عدة . الاذان من خلال مكبرات الصوت في كل ركن من اركان القاهرة ـ مدافع الافطار تنطلق من فوق القلعة وعلى النيل . واضــاءة المآذن جميعها لحظة الاذان بالانوار الكهربائية وهذا طبعا بخلاف اجهزة الراديو والتلفزيون وعلى ذلك يجتمع الصائمون رغم تفرقهم المكاني على مائدة الافطار في لحظة واحدة .. وهنا يبدو المسلمون جميعا في صورة الاسرة الواحدة التي تتناول طعامها في وقت واحد ومكان واحد !!
وقبل الافطار بدقائق نرى نصــف المدينة كاملا وواضحا ... نصــف دائرة كاملة من العمران والحركة . واكثر هذه الحركة وضوحا هو ميدان القلعة ، اسفل الشرفــة مبــاشرة . البشر كثيرون ... كل منهم في اتجاه

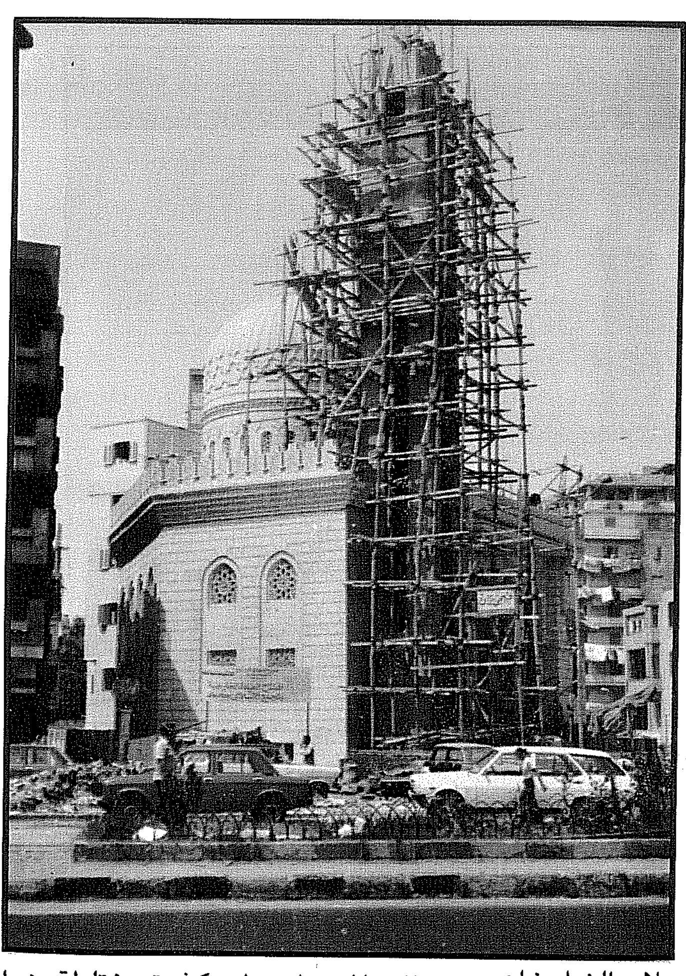


○ مسجد صلاح الدين

معين ينتهي الى داره : السيارات ووسائل النقل المختلفة وحتى العربات التي تجرها الدواب او التي تدفع بجهد الانسان في اتجاه المناطق الشعبية المحيطة بالقلعة . وكلما اقترب موعد الافطار كلما نشطت الحركة . داخل الميدان . حركة دائرية وفي اطراف الميدان تأخذ شكل الصفوف التي تنصرف الى الشوارع المتفرعة من الميدان . والبيوت كلها تستعد للحظة الافطار . الكل يسرع . الحركة مستمرة ودائبة تزداد سرعة . نبضا . ... وينطلق صوت المدافع مع

انارة المآذن .. وفي نفس الوقت تنطلق مكبرات الصوت معلنة آذان المغرب . كما تعلن انتهاء يوم من ايام رمضان ... هدأت الحركة تقريبا . منظر من اروع المناظر التي تكتحل بها عيناك . واعذب الاصوات التي تسمعها اذناك ... الف مئذنة واكثر تؤذن ورغم اختلاف الاصوات وتباين نغماتها الا انها تصل لك في النهاية فوق القلعة صوتا واحدا قويا .

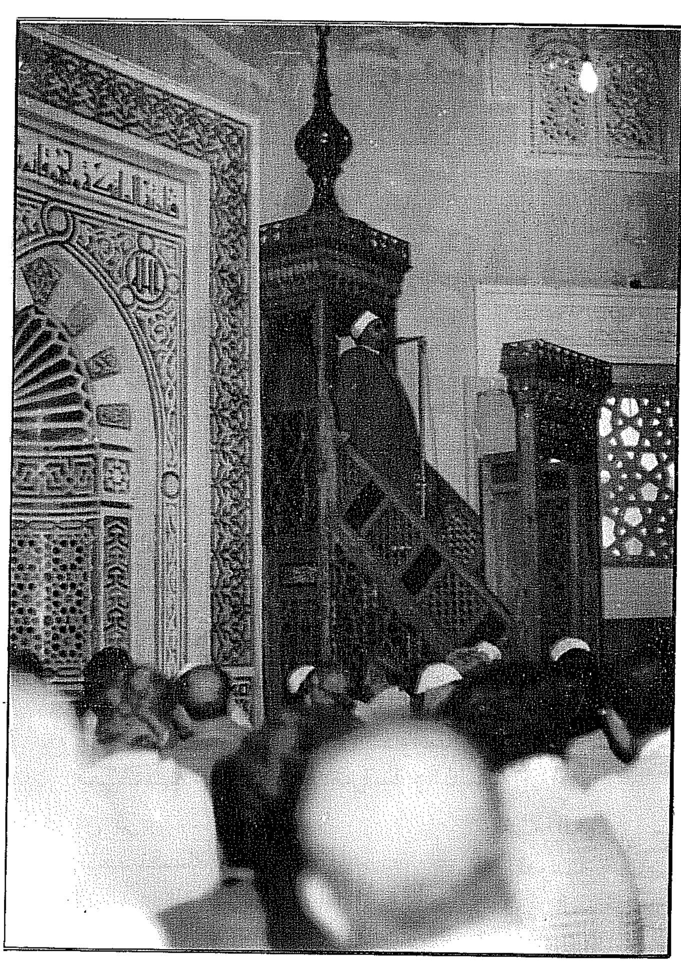
واذا هبطنا من فوق القلعة ... الى ميدانها ... الى القاهرة القديمة حيث المرور من بين جامعي السلطان حسن



○ العمل قائم في رفع منارة مسجد مجمع المنيل

والرفاعي ، هذان الجبلان الشامخان بواجهتيهما المرتفعتين الاول طراز مملوكي والثاني حديث ... ونخرج من هذا الشارع الى القاهرة القديمة نرى ونسمع ... المطاعم الكثيرة المنتشرة في الشارع الرئيسي والشوارع الجانبية وقد اخرجت موائدها الى الشوارع وجلس عليها المارة الذين لم يسعفهم الوقت للوصول الى بيوتهم او الغرباء عن المدينة ... جلسوا يتناولون طعام الافطار . اصوات كثيرة مختلطة منها اصوات عمال المطاعم وهم ينادون على المارة أو على طلبات الجالسين ... ثم تمضي فترة هدوء يتخللها افطار الصائمين . وبعد قليل من الوقت تبدأ الحركة من جديد في اتجاه المساجد للصلاة ... وتستمر الحركة في التصاعد حتى تبلغ القمة بعد حوالي النصف ساعة تقريبا .

وبخلاف وقت الافطار في رمضان فان الحركة لا تتوقف في المدينة يوميا على



○ أمام مسجد مجمع المنيل يلقي خطبة الجمعة

امتداد ساعات النهــار والليــل ... حركة دائمة لا تهدأ ... ... والمرور في شوارع القاهرة القديمة ممتع .. الكثير من المساجد الاثرية والقباب والاضرحة والحدائق والاسبلــة ... تحكي طرزا مختلفة ومدارس في فنون العمارة متباينة ...

وبعد قليل من الوقت تجد نفسك في (خان الخليلي) اذا ما انحرفــت يمينا ... الدكاكين وضيــق المكان والمارة والمقاهي القديمة والصناعات كلها تجعلك تعيش في حي اسلامي خالص يعود بك الى عالم العصور الوسطــى ... الزخرفــة على المصنوعات اسلاميــة خالصــة في اغلبها ... رائحــة البخــور تعبــق المكان . حواري ضيقــة ملتويــة ومسقوفة في نفس الوقت تجعلك تنسى الوقت .... وتسلــك ازقــة كثــيرة وحواري اكثر ... كل شيء ممتع ... وعبارات الترحيــب كثــيرة تطــرق أذنك ... لا يهم ان تشتري ... بل



○ تلاصقت الدور حتى صارت العواصم الاسلامية الأربعة مدينة واحدة يحتضنها جبل المقطم شرقا والنيل غربا .

عليك ان ترى ..
الى ان تجد نفسك في شارع المعز ... اقدم شوارع القاهرة وقد اطلق هذا الاسم عليه عام ١٩٣٧ فقط اذ كان اسمه قبل ذلك (القصبة) وقبلها (بين القصرين) اثار كثيرة ومنتشرة بشكل يدعو الى العجب اقدم شوارع القاهرة مدخله اثر ومخرجه اثر فأنت تدخله من باب (الفتوح) وتخرج منه من باب (زويلة) وعلى اليمين واليسار اجمل اثار مصر الاسلامية واكثرها ما زال يؤدي دوره للان . جامع الحاكم ـ الاقمر ـ مجموعة قلاوون ـ جامع برقوق ـ الناصر محمد ـ سبيل عبد الرحمن كتخدا ـ منزل السحيمي ـ مسجد المؤيد ـ قبة الغوري ـ المدرسة الظاهرية ـ المدرسة الكاملية ـ حمام اينال ـ قبة الصالح نجم الدين .. كثير من الاثار اكثر مما ذكر تختلط جميعها كآثار ... مع الدكاكين القديمة ... مع الحركة والبشر والزحام .

واذا ما خرجت من القاهرة القديمة الى ميدان العتبة الخضراء فستجد القاهرة المدينة بشكلها واناقتها ... شوارع جميلة وان كانت محكومة باتساع العمران سيارات كثيرة وبشر اكثر بكثير مما يتصور المرء .. واذا ما اتجهنا الى شواطيء النيل الذي يفصل بين القاهرة ومدينة الجيزة ... فعليك ان تختار اما ان تتريض على ضفافه سيرا على الاقدام او تجلس



○ طفلة عمرها خمس سنوات أتمت حفظ ربع القرآن الكريم تتسلم جائزة نقدية .

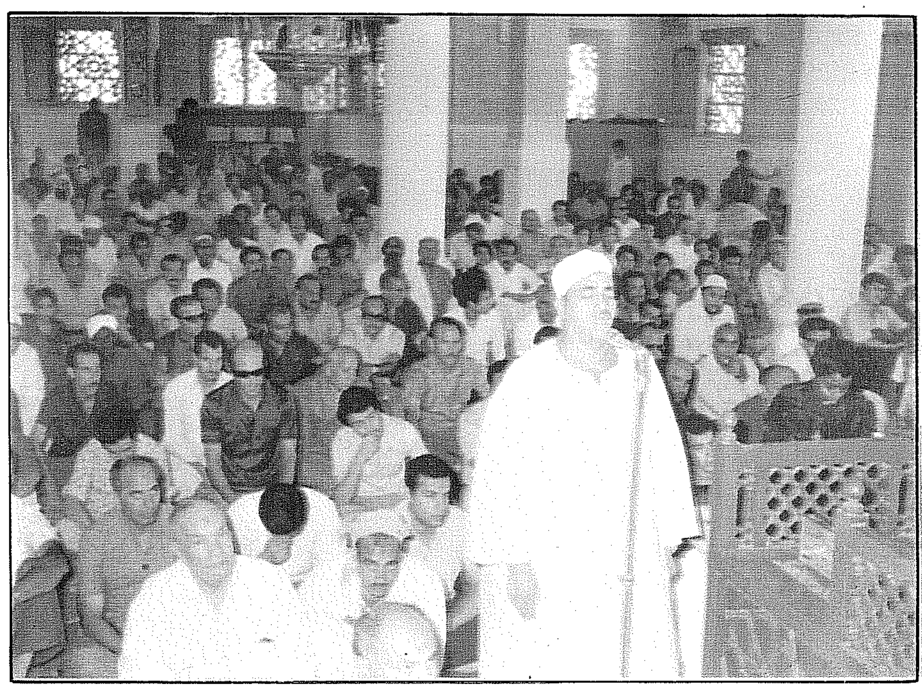
على المقاعد المنتشرة على ضفتي النهر ومن السهل ان تنتقل من ضفة لاخرى عبر هذه الكباري الضخمة المقامة فوقه .

عموما الحديث لا يفرغ عن القاهرة – من كتبوا عنها ومن رحلوا اليها – مساجدها – شوارعها – ميادينها الواسعة كميدان التحرير مثلا – فنادقها ومتاحفها وحدائقها وعمائرها الضخمة الى اخر ما في القاهرة من جمال وروعة وفن .

وان مما يثلج الصدر ويسعد النفس ان بالقاهرة اليوم حركة ضخمة لبناء المساجد ... على طرز وانماط اسلامية معماريا وزخرفيا والمساجد كثيرة ... الحديث عنها كثير – صلاح الدين على كوبري الجامعة ... ومشروع مسجد الفتح في ميدان رمسيس ... مسجد جمعية الهداية بالعباسية ... مساجد وجوامع وزوايا ... فالقاهرة مدينة الالف مئذنة – وأكثر .

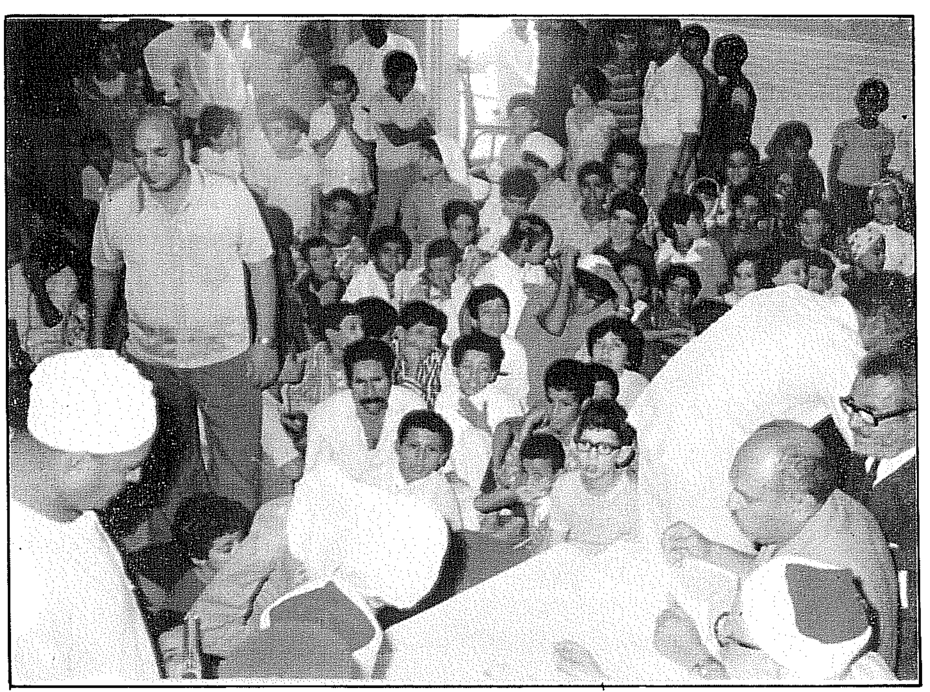
المسجد وحركة الحياة :

ويلفت النظر في حي المنيل هذا المشروع الضخم لبناء (المجمع الاسلامي الكبير) ... الذي اقدمه اليوم كنموذج للعمل الاسلامي لاسباب اولها ان المشروع بكامل تكلفته قام على التبرعات وثاني هذه الاسباب ان المشروع لم يخدم جانب



○ جموع المصلين الذين امتلأت بهم ساحة المسجد في صلاة الجمعة .

العبادة فقط ولكنه جاء ليخدم معظم نواحي الحياة في المجتمع . وثالث هذه الاسباب ويختص بنا في الكويت هو هذه المساهمة من ابناء الكويت في هذا المشروع عن طريق التبرعات .
ومع حركة الحياة اليومية للمواطنين جاء المجمع الاسلامي الكبير بالمنيل . في مكان يقع بين أجمل شوارع المنيل وهما شارع المنيل الرئيسي وشارع الملك عبد العزيز آل سعود .
وكان هذا المكان موقوفا منذ مدة طويلة لبناء مسجد ولكن لسبب او لاخر لم يقم المشروع ، فسارعت (جمعية المحافظة على القرآن الكريم والخدمات الاجتماعية بمصر القديمة) الى شراء قطعة الارض .
وبدأ الصراع مع الزمن ــ بالجهد الذاتي ــ والتكاليف الباهظة وخاصة ان المشروع كله مقام من تبرعات المسلمين . ويكفي ان تعرف كما قال لنا السيدان ــ محمد شهاب وحسن الجمل عضوا مجلس ادارة الجمعية ان حماس الاهالي بجهدهم واموالهم يفوق الوصف ــ وتبرعاتهم كفلت السير في المشروع للان ... وليس اهالي المنطقة فقط بل ان التبرعات من البلاد الاسلامية ايضا ... وقادني عضوا الجمعية الى احد المخازن لارى كمية كبيرة من السجاد ... واشارا اليها قائلين : ما زال الاسلام

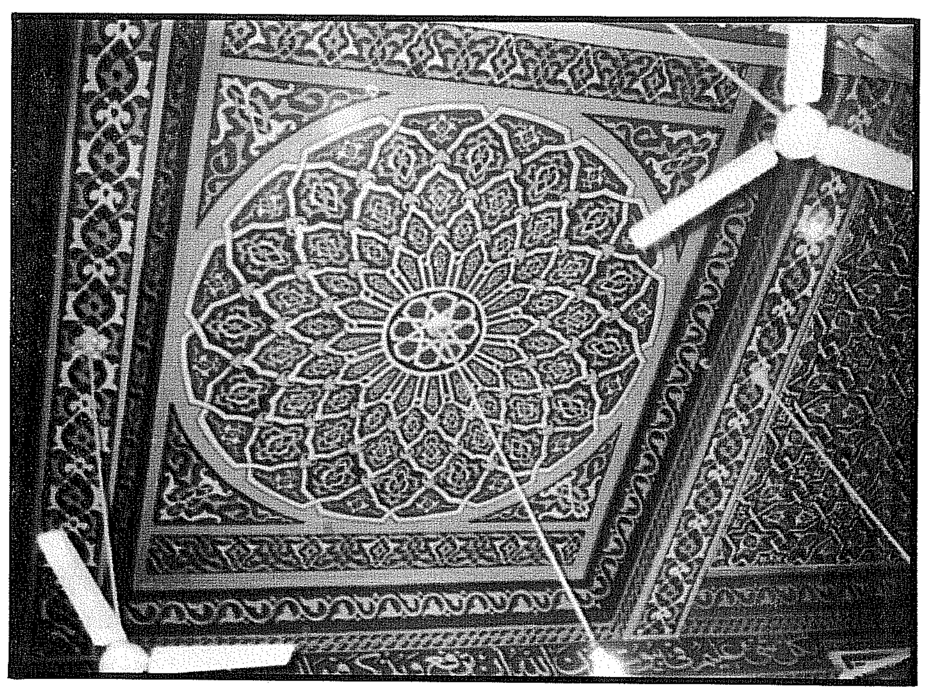


○ الأطفال الناجحون في مسابقة حفظ القرآن الكريم ينتظرون توزيع الجوائز

بخير ... هذا جزء من تبرعات الكويت وصل توا من ميناء السويس . وهمس احدهما في اذني قائلا : (ومنذ ايام زار المشروع احد كبار الشخصيات المسلمة بالكويت وقدم مبلغا كبيرا مساهمة في هذا المشروع الاسلامي ولولا انه اوصانا بعدم ذكر اسمه لأفصحت لك عنه) .

وهذا عمل يذكر فيشكر ومن للاسلام بعد الله الا الاغنياء الصالحون من المسلمين ؟! وما زال المشروع يحتاج الى المال الوفير لا سيما وان الجمعية لم تطلب تدخل الدولة لمساعدتها لانهاء المشروع وترغب في استكماله بجهد المسلمين واموالهم .

والمجمع الاسلامي الكبير بالمنيل ينهض على مساحة الف متر مربع بشارع المنيل الرئيسي وان كانت واجهته الرئيسية تطل على شارع سعيد ذو الفقار بميل يتناسب ووضع القبلة وله مدخل ضخم مرتفع يحتوي على ثلاثة عقود مدببة بزخارف هندسية اسلامية رائعة ـ يحمل هذه العقود اعمدة ذات طرز اسلامية ... ويمكن الصعود الى المدخل بدرجات سلم من حجر الجرانيت الاحمر الصلب المنحوت نحتا ناعما ولامعا . والمسجد يعتبر من المساجد المعلقة اذ ان الدور الاول منه يحتوي على مشروعات اخرى سنتحدث عنها بعد



○ الزخرفة الاسلامية على سقف مسجد مجمع المنيل .

ذلك .
فاذا ما دلفنا الى داخل المسجد نجد ان سقفه محلي بزخارف نباتية واشكال نجمية بالالوان الزيتية الرائعة . اما حوائط المسجد فكلها مجلدة بالزخارف الاسلامية المحفورة على الجص .
وفي خلفية المسجد نجد شرفة للسيدات تتسع لنحو خمسمائة سيدة اسفلها صالة للمناسبات الاجتماعية – وتنضم هذه الصالة الى المسجد في صلاة الجمعة او الاعياد او المناسبات التي تتطلب زيادة المساحة – الأنوار ساطعة – المراوح متوفرة – المنبر والمحراب لعب الفن الاسلامي دورا كبيرا في اخراجهما .
اهم ما في هذا المشروع الكبير بعد المسجد الذي بدىء في انشائه ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) انه اشتمل على مشروعات اخرى تربط المسجد بحركة الحياة ربطا محكما ... فالمشروع لم يظل حبيسا في دائرة المسجد لا يتعداها الى دنيا الناس ، ولكنه تمشى مع طبيعة الاسلام في انه دين ودنيا ، ومصنع ، صلاة وعمارة للارض التي استخلفنا الله فيها .
ومن هذا المنطلق احتوى المشروع على المرافق الاتية :
١) دار حضانة للأطفال .
٢) معهد ديني ابتدائي ومتوسط .

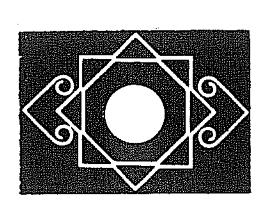
٣) فصول تقوية لطلاب الحي في جميع المراحل التعليمية .
٤) لجنة لجمع الزكاة وتوزيعها .
٥) مدرسة لتحفيظ القرآن .
٦) مكتبة .
٧) صالة المناسبات الاجتماعية .
٨) مستوصف للعلاج بأجر رمزي .
٩) مشغل لتعليم بنات الحي حرفة يتكسبن منها الرزق الحلال بعد طرح انتاج هذا المشغل في السوق .

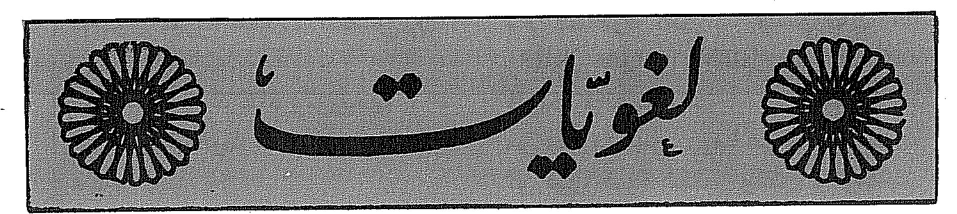
شيء يبدو مستحيلا في تحقيقه وغير معقول في تصديقه ... ولكنه حقيقة واقعة تراها على الطبيعة ... وتقف هناك شامخة لتقول ان الاسلام والمسلمين بخير .

وبعد : فالمسلمون في كل مكان لا سيما في البلاد التي فيها اقليات اسلامية . بحاجة ماسة الى مثل هذا المشروع القائم على ارض (المنيل) في قلب القاهرة ، ليجمع كلمة المسلمين على الخير ، ويوجه حركة الحياة الى الجد النافع والعمل المثمر ، واننا لنرى غيرنا وهم على باطل ، يجدون السعي لتعزيز عقيدتهم ودعم كيانهم ، فأولى بنا ونحن على حق ، ان نكون اكثر فاعلية واوفر نشاطا فاننا نرجو من الله ما لا يرجون .

مع القاهرة كنا ... ولم نأت الا بالقليل عنها ... القليل الذي يحكمه الوقت والصفحات . ... وانها لأعم من ذلك وأشمل ، وما هو مكتوب عنها أو قيل فيها لكثير وكثير ، وممن تحدثوا عنها وأرخوا لها : (ناصر خسرو – ابو الصلت امية – ابن جبير – البغدادي – ابن سعيد – ابن بطوطة – البلوي – المقريزي – ابن خلدون – ليون الافريقي – ارنولد هارف – كاربيه – جرانجر – فانسلب) الأسماء كثيرة ولن نفرغ منها وقصدت أن أذكر الاسماء غير المعروفة لدينا كابن دقماق وابن عبد الحكيم وابن تغري بردي والجبرتي وابن اياس .

اسماء قليلة زارت وكتبت وعاشت في القاهرة . هذه المدينة الاسلامية العربية ... بلد الازهر الذي حمى الدين وحافظ على اللغة العربية ، في عصور مظلمة زحف فيها الجهل على البلاد الاسلامية وبقي الازهر منارة هادية وربوة عالية عاصمة ، حمت القرآن ولغته من الطوفان المدمر ، وذلك من فضل الله ورحمته والله ذو الفضل العظيم .





إعداد : الشيخ محمود وهبة

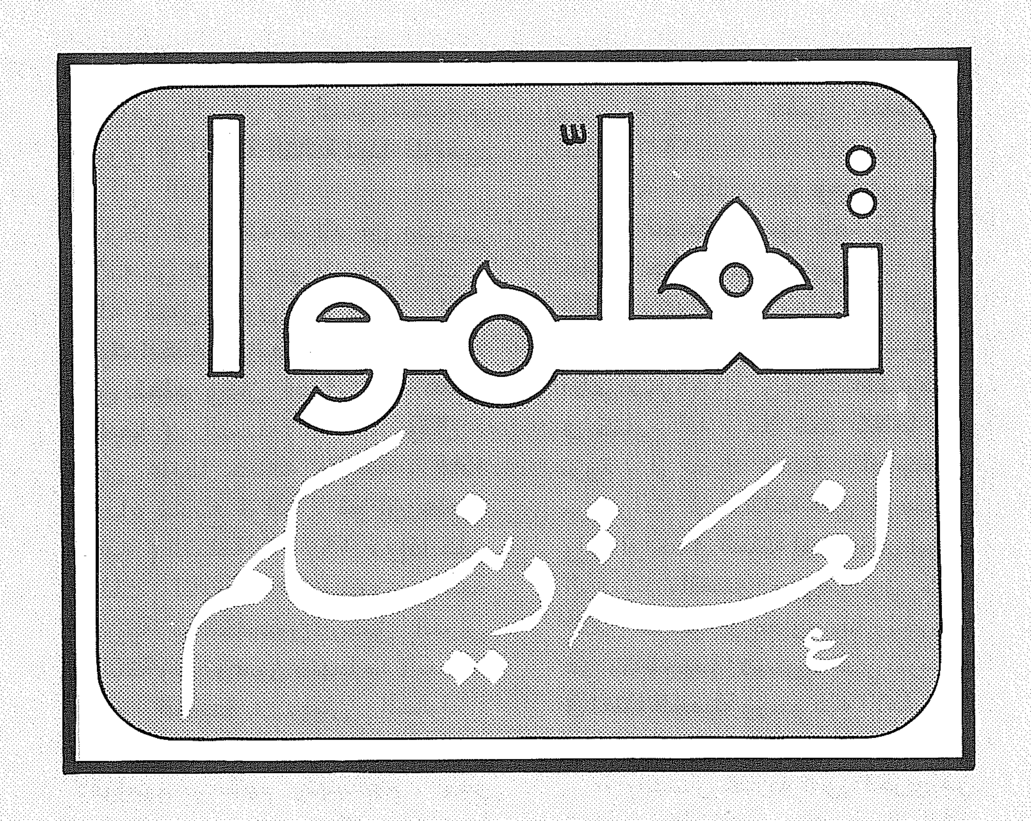
من الأضداد في كلام العرب

من الأضداد « البَيْعُ » يقال : باعَ فلانُ الثوبَ . اى باعه وأخذ ثمنه ـ أو اشتراه ودفع ثمنه ـ وفي الحديث الشريف : (البائعان بالخيار ما لم يتفرقا) اى البائع والشاري .

وروى عن حذيفة حين حضرته الوفاة انه قال : بيعوا لي كفنا ، اى اشتروه لي .. وقال رجل لجرير : من أشعر الناس ؟ فقال جرير : هو الذي قال :

ويأتيك بالأنباء من لم تبعْ له
نَبَاتاً ولم تضربْ له وقت موعد

أي : من لم تشتر له زادا .



للشيخ معوض عوض ابراهيم

وددت أن تلتقي عزائم العلماء ، وجهود الدعاة الى الله في شتى أقطار الاسلام ، على أن يتعلم المسلمون في غير الساحة العربية بخاصة ، قدرا من لغة القرآن ، وأن يجد العلماء والدعاة في ذلك مؤازرة جادة ممن استرعاهم الله أمر المسلمين . فبهذا القدر من تعلم لغة القرآن يتخاطب المسلمون بالبر والتقوى ، ويتبادلون الرأي في مختلف أمورهم جهد الاماكن .

والمسلمون وان تناءت بينهم الديار ، وشط المـــزار ، يترابطون بعقيدة التوحيد ، أجل ما ترابط به الناس ويترابطون منذ كان الناس والى آخر الزمان ، ويجمعهم دين لا غنى لهم عن توجيهاته وهدايات كتابه في تجريد عقيدتهم ، وصحة عبادتهم ، وكمال سلوكهم ، ويضاعف من سداد نظرهم في ذلك ، ويجلو لهم النهج أكثر وأكثر التزامهم سنة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ، والسنة في اللسان العربي نسق رفيع في الفصاحة والبيان ، بل هي المثل الأعلى في كل ما تكلم به الناس ويتكلمون ، بعد أن قامت حجة القرآن

على أهل اللسان ، وكان الكلام النبوي في المرتبة التالية لهذا المرتقى القرآني الفذ ..

وحق لمن علمه مولاه أن يكون كلامه من الوضوح والاعراب كذلك ، والله تعالى يقول : **(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)** النساء/١١٣ ، وقال : **(إن علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه)** القيامة/١٧/ ١٩ ، وإذا كان الثقات الأمناء المتمرسون باللغة العربية يستخلصون رحيق القرآن والسنة ويستوعبون منهما ما لا بد منه لنقاء العقيدة ، وبيان السلوك ، ويقدمون ذلك بأحسن أسلوب لأقوامهم بلغاتهم ولهجاتهم ، وهو عمل مبرور ، وجهد مشكور ، فان ما ندعو الأخوة الى تعلمه من لغة القرآن ، يحرز لهم أضعاف أضعاف ما قدمه اليهم الأبرار الصالحون من جهة ، ويربطهم من جهة أخرى بوثاق أبر وأطهر ، ووشيجة أنقى وأبقى ، بالرسالة والرسول وصحابته وباللغة التي كانوا يتعاطونها بما تحمل من أدب الخطاب ، وأخلاق الفطرة ، ونماء المكارم العربية الاسلامية التي المح اليها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » جامع الأصول ج/٤

وتستطيع أن تقرأ آيات : **(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)** البقرة/ ٢٢٢ ..

وقوله تعالى : **(وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين)** الأعراف/ ١٨٩ . وغير شاهد ومثال في كتاب الله ، فلا تجد كلاما يثير نزوة ، أو يحرك شهوة ، أو يتحرج من قراءته أو سماعه فتى أو فتاة ، وإنك لواجد في السنة المطهرة في أبواب الوضوء والغسل وغيرها وفي كلام الذين تدرجوا في مدارجهما وتخرجوا على مناهجهما الأسلوب الذي نترسمه في لغتنا الجميلة ورحم الله الامام ابن تيمية فهو يقول :

« واللسان تقارنه أمور أخرى من العلوم والأخلاق ، خاصة العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله ، وفيما يكرهه ، فلهذا أيضا جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين في أقوالهم وأعمالهم ، وكراهة الخروج عنها الى غيرها من غير حاجة » أهـ .

ويقول : « وأيضا فان اللغة العربية لغة الدين ومعرفتها فرض واجب ، فان فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم الا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

واستبانس قدس الله روحه لوجوبها على الأعيان وعلى الكفاية بما كتبه عمر الى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما « أما بعد .. فتفقهوا في

السنة ، وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فهو عربي » .

وبما قاله عمر رضي الله عنه : « تعلموا العربية فانها من دينكم ... وليس تعلم قدر من اللغة العربية صعب المدرك ، ولا هو بالمراد العسير المنال حين يصدق القصد ، وتصح العزائم ، ومن يدري فقد يبلغ الأخوة من لغة دينهم المبلغ الذي يردون به الأذهان الى علماء اعلام تركوا للدنيا « الأمهات » في علوم القرآن والحديث واللغة ، وعلوم في جوانب المعرفة هي النبع الأصيل لكل تفكير جليل عبر الأزمان ، وكل حضارة نظيفة ترتفع بالجنس البشري الى ما شاء الله الذي يقول :

« **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء / ٧٠ .

فلقد نزل القرآن على سيدنا محمد صلوات الله عليه في بضع وعشرين سنة كما قال ربنا سبحانه وتعالى (**ونزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين**) الشعراء ١٩٣ / ١٩٥ فما كان حظ بلال الحبشي وسلمان الفارسي ومن وراءهما أقل من حظوظ الصحابة رضوان الله عليهم ، نطقوا جميعا كلماته ، وحفظوا آياته ، ووعوا عبره وعظاته ، أو أدركوا — على الأقل — ما شاء الله أن يدركوا منها ، فلم تمنع احدهم عجمته عن السبق في رياض القرآن والسنة ، واستقامت بذلك عقولهم وألسنتهم ، حتى كان بلال الرجل الكفء المناسب للعمل المناسب ، وأى عمل ؟! انه الأذان والاعلام بأشرف عبادة وأجل طاعة بعد الايمان بالله .

ويبرز الرسول بعض خصائص بلال وهو يقول لعبد الله بن زيد الذي رأى الأذان وسمع الفاظه في نومه ، وحدث بذلك رسول الله صلوات الله عليه فقال له :

« ألقه على بلال فانه أندى منك صوتا » أخرجه الترمذي وأبو داود . كما أبرز الحفى الوفي رسول الله ، فضل سلمان وخصائصه الشريفة وهو يقول « سلمان منا آل البيت » أخرجه الطبراني والحاكم .

يا له من شرف تقاعس عنه عبد العزى بن عبد المطلب بكفره وظلمه لابن أخيه حتى قال تعالى : **تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب**) المسد/ ١ — ٣ .

ان البيان العربي منه : امتن بها علينا ربنا — جلت آلاؤه — قراءة وكتابة يهديان للتي هي أقوم ، حين تخالطهما خشية الله وذكره والتماس عونه ، وهل نفهم أقل من هذا ونحن نتأمل اول ما اوحى الله من كتابه باطلاق الى مصطفاه .

(**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم**

الانسان ما لم يعلم) العلق /١ — ٥ .

ثم تعظم النعمة وتجل المنة ونحـن نتأمل قوله تعالى : **(الرحمن . علم القرآن . خلق الانســان . علمـه البيان)** الرحمن /١ — ٤ .

وصحيح أن مجتمعات أمة الاسلام اليوم تختلف بظروفهـا والمؤثـرات الجياشة من حولها ، عن « مجتمع الرسالة » وعهود النور التي قفت على آثاره ، لكن تنويه الرسول صلوات الله عليه بالذين يهتمون بلغة القرآن يضفي عليهم الجلال ... يقول أبو فراس الحمداني :

تهون علينا في المعالي نفوسنا
ومن طلب الحسناء لم يغلها المهرا

أو كما قال شيخ المعرة أبو العلاء :

فاني رأيت الصعب يركب دائما
من النــاس من لم يركب الفـرض الصعبا

ولعل هؤلاء الأخوة حين يبلغون شأوا من العلم بالعربية واستعمالها أخذا وعطاءيضيفون اليها شيئا من الذى قدمــه الامــام البخـارى والامـام الزمخشرى ومن لا نحصيهم من أولئك الــرواد الذيــن أثــروا المكتبــة الاسلامية ، والفكر العربى . وصدق حافظ ابراهيم وهو يقول بحق على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن أى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

وقد أورد الامام ابن تيمية رحمه الله حديث أبى هريرة « من تكلم بالعربية فهو عربي » وأورد بسنده الى أبى سلمة بن عبدالرحمن قال : جاء قيس الى حلقة فيها صهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي فقال : هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هؤلاء ؟!

فقام معاذ بن جبل فأخذ بتلابيبه ، ثم أتى به الى النبى صلى الله عليــه وسلم ، فأخبره بمقالته فقام النبى صلى الله عليه وسلم مغضبا يجر رداءه حتى دخل المسجد ، ثم نودى : أن الصلاة جامعة فصعد النبــى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد — أيها الناس — إن الرب رب واحد ، والأب أب واحد ، والدين دين واحد ، وإن العربيــة ليسـت لأحــدكم بأب ولا أم ، إنمــا هى اللسان ، فمن تكلم العربيــة فهـو عربي » وذكر ابن تيمية ضعف هذا الحديث ولكنه قال : لكن معناه غير بعيد ، بل هو صحيــح من بعض الوجوه كما قدمناه » .

ومن عجب ان يؤثـر المسلمـون الأوائل في البلاد التى نزلوها في الشام ومصر وغيرهما ، وأن يعلموهم على قلتهم لغة القرآن فتصبح هى لغة هذه البلاد ، ثم يعمل إخوتنا على الأخذ بنصيب منها — والامام ابن تيمية رحمة الله يقول :

« واما اعتبار الخطاب بغير العربية

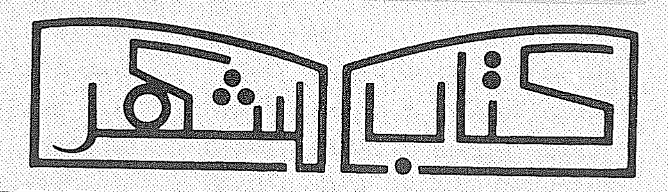
التى هى شعار الاسلام ، ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للعصر وأهله ، ولأهل الدار ، وللرجل مع صاحبه ، ولأهل السوق ، أو للآمراء أو لأهل الديوان أو لأهل الفقه فلا ريب أن هذا مكروه ، فانه من التشبه بالأعاجم وهو مكروه ، ثم يقول : ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ، ولغة أهلهما رومية وأرض العراق وخراسان ، ولغة أهلهما فارسية ، وأرض الغرب ولغة أهلها بربرية ، عودوا أهل هذه البلاد « العربية » حتى غلبت على أهل هذه الأمصار ، مسلمهم وكافرهم ، وهكذا كانت خراسان قديما ، ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة ، واعتادوا الخطاب بالفارسية ، حتى غلبت عليهم ، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ، ولا ريب أن هذا مكروه » . يرسم ابن تيمية رحمه الله المنهج لاعادة اللغة العربية الى مكانها من حياتنا فيقول .

« وانما الطريق الحسن ، اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتقنها الصغار في الدور والكاتب فيظهر شعار الاسلام وأهله ، ويكون ذلك أسهل على أهل الاسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف بخلاف من اعتاد لغة ثم اراد أن ينتقل الى أخرى فانه يصعب عليه »

ثم يقرر ما أسلفناه من تأثير اللغة في السلوك والاخلاق والعادات إصلاحا وفسادا فيقول : « واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق » ولا أدرى كيف ينتسب الى الدين من لم يؤثر لغته على ما سواها ، وكيف يتغنى بالعروبة أقوام تضيق بالعربية صدورهم .. والله المستعان على كل خير .

الى كتابنا الاعزاء

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة ان يتكرموا بطبع مقالاتهم على الآلة الطابعة أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات وتخريج الاحاديث .. والله الموفق والمستعان .



وضع الربا في البناء الاقتصادي

- تأليف الدكتور عيسى عبده
- عرض وتحليل : الأستاذ محمد عبد الله السمان

● المؤلف الأستاذ الدكتور عيسى عبده أستاذ الاقتصاد السابق بالجامعات المصرية ، غني عن التعريف به ، فهو — والحمد لله برغم تقدمه في السن — لا يزال يتمتع بحيوية الشباب ، ونشاطه في مصر ، حيث تعرفه قاعات المحاضرات ، وفي خارج مصر حيث تعرفه المؤتمرات الاسلامية التي لا تكاد تتوقف ..

والمؤلف قد زود المكتبة العربية والاسلامية بالعديد من البحوث الاسلامية الناضجة الواعية القوية ، لكن مما يدعو إلى الدهشة ان هذه المؤلفات قدر لها ان تطبع في البلاد العربية والاسلامية دون أن يقدر لها النشر في مصر وغيرها ، وتحت الطبع الآن مجموعة قيمة من الدراسات الاسلامية الاقتصادية منها : التأمين بين الحل والتحريم — حاجة الاسلام إلى خطة عمل — الزكاة اداة اقتصادية بالغة الأحكام — النظم المالية في الاسلام — دور الربا في استغلال الشعوب ..

● يشير المؤلف في مقدمته ، إلى ان هذه الدراسة التي بين ايدينا تكشف عن حقائق رئيسية في الحياة الأولى :

أولا — إن الهيكل الكلي للمجتمع « وفي إطاره البناء الاقتصادي » قد احكم الله صنعه ، وجعل فيه درجات أو مستويات يعلو بعضها بعضا كطوابق الدار أو درج الهرم .

ثانيا — في حدود الأطار المحكم الذي يجمع الوجود الكلي للمجتمع وبنائه الاقتصادي .. تقوم الروابط والعلاقات من صنوف شتى .. ويعنينا منها في المحل الأول العلاقات الاقتصادية .

والاهتمام بالعلاقات الاقتصادية ، لأنها تسفر عن وجودها في عقود ، ومعاملات ، ومراكز قانونية ، واخذ وعطاء .. أو كما يقول المؤلف : إن المادة الاقتصادية شديدة التداخل في حياة كل فرد منا ، ولا تكاد تخلو منها معاملة واحدة من الوف المعاملات التي ندور في فلكها اليوم ..

هذا ويقدم المؤلف توضيحا في إيجاز عن بعض المفاهيم الاقتصادية ، مثال : البناء الاقتصادي ، فمفهومه المعنوي يتألف من النسب والصلات القائمة بين القطاعات الراسية والقطاعات الأفقية للمجتمع .. بل كل نسبة بين جماعة واخرى ، وكل صلة بين هذه الجماعة وتلك ، تعتبر عنصرا من العناصر المكونة للبناء الاقتصادي ، اما الشبكة الاقتصادية ، فهي المصطلح الثاني المصاحب للبناء ، والمقصود بهذه الشبكة مجرى الأحداث المترابطة من وقائع ومعاملات .

● يبدأ المؤلف هذه الدراسة بعرض سريع لأحكام الاسلام في الربا ، هذه الأحكام بدأت منزهة عن النقص والعجز ، وهي من أجل ذلك غير قابلة للتكمل ولا للتوفية ، بل لقد

بدات رفيعة القدر لتكفل للناس كافة، مستوى من الحضارتين الماديـــة والفكرية .. لذلك لا يصح أن يضاف إليها دعوى التطوير بحجة الضرورة الملحة أو تحقيق المصلحة .. أما علم الانسان فهو الذي يجوز عليه التطور والتطوير ، ويتساءل المؤلف : كيـف يستقيم الأسلوب العلمي في البحث عن مدى الملاءمة بين مجموعة معينة من الأحكام ، وبين التطور الحضري الدائب ، إذا كنا نبدأ القول برفـــع هذه الأحكام إلى مرتبة العقيدة ؟

في الاسلام نرى أن كلا من الأخذ : « كأخـذ الزكـاة » والإنفـاق : « كالإنفاق في سبيل الله من صـدقة ونحوها » يجب أن يخضع لمعيار ثابت تطمئن إليه النفس البشرية ، فلاتجزع من تقرير الفرائض المالية التيتنتقض بحكم اللزوم من المال الخاص بغـتة ومن غير ضابط ، هذا المعيار الثابـت هو أن يكون حد المال « المخرج» عفوا أي زائدا ، ولكن إذا عرضنا للأدوار التي مر بها الفقه المالي بعيدا عــن حكم القرآن ، وجدنا العكس تماما ، إذ كانت الأموال الخاصة تصادر ، وكانت الفرائض تجبى بطرق بدائيةفي ظل الاقطاع .. لذا كانـــت الادارة المالية نوعا من التخريب والفوضى، وسادت هذه الحال في الغرب ، ومن أسف أنها عرفت بلاد المسلمين بعد أن مال الميزان حول القرن الرابع عشر ، وزادت في عهد المماليك في ظل الدولة العثمانية ..

لئن كان العالم الاقتصادي « آدم سميث » في الربع الثالث من القرن الثامن عشر قد وضع اسس الضريبة العادلة .. إلا أن القرن التاسع عشر كله قد شهد التطور الرتيب في سبيل تجديد هذا المفهوم الـذي تؤملـــه الانسانية المتحضرة حضارة ماديـة خالصة ، الا وهو العدالة في توزيـع التكاليف المالية على أفراد الرعية ، وجدير بالذكر ـــ كما يقول المؤلف ـــ أن ما قاله هذا العالم الاقتصادي ، وما زاده من بعده من علماء الاقتصاد وهم بصدد استكمال هذه المعايير ، قد ورد بوضوح في القواعد التـي وضعها الخليفةالثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد جمع أبو يوسف في القرن الثاني للهجرة ما انتهى إليه من آثار السياسة المالية لعمر، فاذا بها تسبق الغرب بما يقرب من ألـف عــام .

وبعد ان يعرض المؤلف لخصائص الربا ـــ من حيث إنه ـــ وإن كــان مخففا فيما يسمى بالفائدة ، إلا أنه يعتصر الفقير فيزيده فقرا ، ويركـم على مال الغنى أوزارا من فوق أوزاره .. يستغل حاجة المحروم ، ويمتص دماء الكادحين ... بالاضافة إلى أن كل المعاملات الربوية تتفق في امرواحد هو الاتجاه إلى معاكسة التيار الخير في المعاملات .. يشير إلى حكمـــة التشريع الاسلامي في تحريم الربا ، ويناقش الشبهات التي يثيرها البعض على المناقشة العلمية ، ومنها قولهم : إن المقرض بالفوائد الثابتة في زمننا هذا هو الفقير ، والمقترض هو الغنى، فاذا أبحنا الفائدة الثابتة أدخلنا فـي تشريعنا نصوصا تحمي الدائن الفقير من حيف المقترض الغنى ، ويقولون ايضا : إن هذه التطورات حديثة في الأوضاع الاقتصادية ، لم تكن لعهـد التنزيل ، ومن ثم فانها تتطلـــب الاجتهاد ، تحقيقا للمصلحة ، ودفعا للضرر ، وتطويرا للأحكام المعمـول

بها عندنا ، حتى تلائم العصر ..

يرى المؤلف في الرد على هذه الشبهات : أن إنشاء المشروعات يتلخص في تجميع المدخرات من سواد الشعب في أيدي جماعة من اصحاب الفكر الاقتصادي أو الخبرة العملية، للحصول على قوة إنتاجية ، ومن ثم، فإن الثمرة التي يجود بها المشروع هي من حق المدخرين وهم المساهمون او المقرضون ، لكن قد يقال : وكيف السبيل إلى تطهير المصارف من المعاملات الربوية ؟ والرد على ذلك أن المصارف هي امتداد لبيت المال، وهي تؤدي وظيفة لا تنبغي إلا للدولة، وان القابض على الائتمان ، قابض على كل نشاط اقتصادي ، ثم يشير المؤلف إلى أن أحكام الاسلام في شئون الاقتصاد ، ومنها تحريم الربا — هي احكام ثابتة ووافية ، لا يجوز عليها التطور والتطوير ، لأنها معجزة من صنع الله ، وما علينا إلا أن نتابع النظر في تفصيلات هذه الأحكام ، حتى نصل إلى التصور الصريح المأمون لأساليب تطبيقها ، في مواجهة عالم لم يؤمن بها بعد ، وخير دعوة نقوم بها لدين الله ، هي أن نبدأ بأنفسنا فنعمل على تطبيق أحكام الله ، وهي أصلح الأحكام بدون جدال ..

وفي خاتمة البحث — وبعد أن ناقش المؤلف ماهية الاقتصاد الغربي، واكد أنه غير قادر على تحقيق العدالة الاجتماعية — عرض نماذج من ثقافة الاسلام كإجابة عن بعض التساؤلات:

— هل جاء الاسلام خلوا من النماذج الثقافية التي تحكم سلوك الفرد ؟

— وهل عنى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، واجتهاد الأولين ، بتقرير المبادىء الثابتة التي تؤلف في جملتها نموذجا ثقافيا رائعا للمعاملات بين الناس ؟

— وإذا ظهر أن الاسلام قد قرر من المبادىء ما لم يصل إليه بعد تطوير الفكر الاقتصادي في الغرب .. وأن هذه المبادىء التي قررها الاسلام .. قد تفردت بالكمال والثبات جميعا .. فهل يجوز أن نغفل هذا التراث ، بحكم الولاء السلبي لبلاد انغمست في المادية إلى حد أزعج المصلحين ورجال الفكر من أواخر القرن الثامن عشر إلى الآن ، ولم يصلوا بعد إلى بعض الكمال الذي قرره الاسلام ؟

ويضرب المؤلف مثلا لصلة الرحم كأهم لبنة في بناء المجتمعات ، ويسوق الآيتين الكريمتين الآتيتين :

(ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) لقمان / ١٤ و١٥ ويعقب المؤلف: حين تقوم الصلات بين أفراد الاسرة الواحدة على اسس من هذا النموذج الانساني البالغ السمو ، فسوف يجيء المجتمع على صورة مشرقة ..

ومن النماذج المثالية : أن الانفاق أمر إلهي ، وأن المال مال الله ، ونحن مستخلفون فيه ، وأن الملكية وظيفة اجتماعية ، وأن هناك توصيات إلهية بالاضافة إلى الحقوق المفروضة ، توصيات بالأقربين واليتامى والمساكين

فالله يوصينا بأن نتسامى عن فكرة المادية الخالصة حال النظر إلى المال ، وبأن نفهم أن المال وسيلة لاغاية ، وأن الثروة ليست مفهوما ماديا خالصا ، وإنما هي مفهوم تخالطه فكرة تحقيق الرفاهية للمجتمع وأولى الناس بالبر والاحسان في المعاملة ، الأقربون ثم اليتامى والمساكين ، إن مفكري القرن التاسع عشر — بصفة خاصة — كما يشير المؤلف — ذهبوا إلى أن رأس المال لا ينفصل عن التاريخ ، وأن ملكية الفرد في زمن معلوم لا تنفصل عن الأحداث التي توالت وأسلمت إليه ثمرة جهود الأجيال السابقة ، وأن هذا المال ما كان ليسعد به صاحبه لولا النظام الذي يسود المجتمع ، وعلى رأسه السلطة المسئولة أو الدولة .. ورتبوا على هذا كله ، حق الدولة في أن تأخذ هذا المال أو أن تغترف منه ، إن اقتضى الصالح العام ذلك .. ولقد انتهى تطور الفكر الاقتصادي هذا ، إلى تقرير نماذج من القانون الوضعي ، التي تنص على أن المال الخاص يتصل بتحقيق منفعة عامة ، ومن أقرب الأمثلة ما نص عليه دستور «ديجول» لفرنسا عام ١٩٤٦ م.

ويعقب المؤلف : ولكن الأسلام سبق إلىتقرير حق الدولةعلى المال الخاص لتحقيق الصالح العام ، فالقرآن يقرر الأخذ من الأموال لتطهيرها وتزكيتها: **(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)** التوبة / ١٠٣ ويراد بكل من التزكية والتطهير—فيما نحن بصدده — إخراج حق الضعيف من جملة ما تجمع للمقتدر من مال ، وإذا كان الأسلام قد سبق إلى تقرير هذا الحق ، وثبت عليه ، فإن الفكر الاقتصادي الغربي لم يصل إلى مثل ذلك إلا بعد قرون من الظلمة الحالكةفيالعصور الوسطى وجهود مضنية من عهد المدرسة التاريخية ، التي نشطت فى أوائل القرن التاسع عشر ..

هذا ويسوق المؤلف نصا من وصايا الخليفة عمر بن الخطاب ، يوضح فهمه لقواعد الآخذ من المقتدر لصالح الضعيف :

«أوصى الخليفة من يعدى بتقوى الله .. وأوصيه بأهل الأمصار .. فانهم رداء الأسلام ، وغيظ العدو ، وجباة المال : الا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضى منهم .. وأوصيه بالأعراب ، فإنهم اصل العرب ومادة الأسلام : أن يأخذ من حواشي أموالهم — أي الفضل منها او الزيادة — فيرد على فقرائهم .. وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله — عليه السلام — أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم » .

● وبعد ...

فالحق أننا أمام دراسة جيدة على مستوى رفيع من العطاء الأسلامي في مجال الفكر الاقتصادي ، وهذا ليس بكثير على مثل الدكتور عيسى عبده الذي له تخصصه الأصيل في مجال الاقتصاد ، وكأستاذ جامعي في هذا المضمار ، وله ايضا عنايته بالفكر الاسلامي ودراسته المتعمقة فيه ، ومع هذا فهناك بعض الملاحظات التي نكتفي منها بملاحظتين عاجلتين :

— الأولى : ما يراه المؤلف من ان الأحكام التي جاء بها الدين الحنيف لا تقبل التطور ولا التطوير ، لأن التطوير أسلوب تقدمي ، يستهدف

الترقي إلى مستويات فوق ما هو كائن او مألوف ، ولا يصح القول بالترقي إلا منسوبا لأمر مشوب .. ولما كانت أحكام الأسلام — كما يقول المؤلف — مستمدة من القرآن أو تجد ضوابطها من آيات الله البينات .. فإن احكاما كهذه ، قد تميزت على كل حكم أو راي من قول البشر ، بأنها تنزلت كاملة شاملة ، ومنفردة بالثبات الأبدي ..

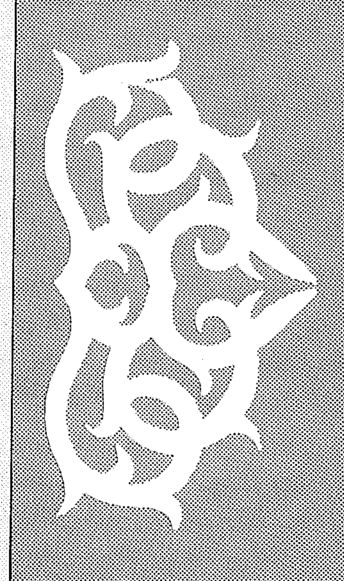
وهذا كلام يبدو ولا غبار عليه .. إلا انه من المسلمات إن أحكام الأسلام التوقفية هي التي ينطبق عليها مثل هذا القول ، اما الأحكام الاجتهادية — وهي أحكام إسلامية أيضا ، باعتبار الاجتهاد أصلا من الأصول التشريعية في راي الغالبية من العلماء — هذه الأحكام الاجتهادية يسري عليها التطوير ، مثال ذلك قول الله تعالى : (**وأحل الله البيع وحرم الربا**) البقرة / ٢٧٥ فهنا قاعدتان عامتان ، تؤديان إلى أن البيع حلال ، والربا حرام ، لكن الفقهاء اختلفوا في التفاصيل ، في أنواع البيوع ، وفي مشتقات الربا ، واختلاف الفقهاء معتمد على الاجتهاد ، والاجتهاد قائم إلى يوم القيامة ، وخاضع للتطور والتطوير ، ولا أظن المؤلف على غير هذا الراي ..

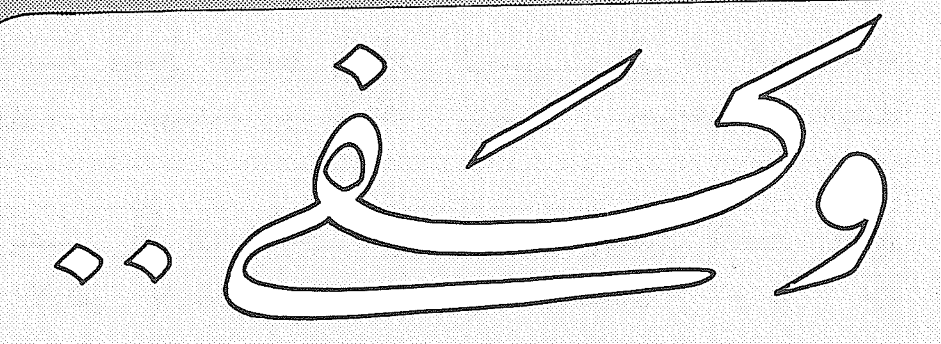
الثانية : يرى المؤلف — ويصر على هذا الراي — أن لفظة « العفو » في الأيتين الكريمتين : (**ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو**) البقرة/ ٢١٩ — (**خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين**) الأعراف/١٩٩ ينصرف إلى اليسير من المال او الزائد على الحاجة ، بالرغم من إقرار المؤلف بأن المفسرين لهم تفسيرات أخرى بالنسبة للفظة « **العفو** » في الآية الثانية ، ونحن نرى أن السياق القرآني في الآية الأولى يحتم أن يكون المقصود بالعفو هو الزائد عن الحاجة ، اما في الآية الأخرى فالسياق القرآني يصرف لفظة « العفو » إلى الصفح والمغفرة ، فأولا — نجد ان الآية السابقة على قوله تعالى : **خذ العفو** ... هي : (**وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا**) الأعراف / ١٩٨ . وثانيا — لأن آية الأعراف مكية ، بينما الآية الأولى من سورة البقرة فمدنية حيث كان التشريع ، وثالثا — لا يفسر اللفظ القرآني منفردا اخذا من قواميس اللغة ، لوجود الوحدة العضوية في كل آية منفردة ، أو في أكثر من آية مجتمعة ، ورابعا — لأنه إذا كان بعض المفسرين — وهم قلة — قالوا بقول المؤلف ، إلا ان الكثرة على تفسير « العفو » في الآية الثانية ، هو الصفح والمغفرة ، فالزمخشري يقول في تفسير الآية : « أي خذ ماعفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما أتى منهم ، وتسهل من غير كلفة » ويرى الشهيد سيد قطب في الظلال أن معنى « خذ العفو » خذ الميسر الممكن من أخلاق الناس، ولا تطلب إليهم الكمال، ولا تكلفهم الشاق من الأخلاق ..

ويبقى تقديرنا للمؤلف الذي قدم للمكتبة الأسلامية دراسة موضوعية تجلت فيها المقارنة بين شريعة الله وشريعة الأنسان، وتجلى فيها مواجهة التحدي للفكر الأسلامي ، الذي هب علينا من الغرب أو الشرق ، هذا التحدي الذي يجب على أقلام العلماء والمفكرين الأسلاميين أن تتصدى له .؟

الاسلام

نظم أحمد شوقي رحمه الله قصيدته « ولد الهدى » بعاطفة نبيلة وارادة خيرة وغنتها أم كلثوم وكانت كلما رددت قوله : الاشتراكيون أنت امامهم ... هاج العامة وصفقوا طربا !! وأصبح من تقاليد إحياء ذكرى المولد النبوي ترديد هذه القصيدة في الاذاعات ، وأضحى قوله : الاشتراكيون أنت امامهم ... من الشعارات وكأنه حقيقة مسلمة وفي ذلك ما فيه من الخطر على عقول العامة التي تستدرج هكذا الى صفوف « الاشتراكيين » ما دام محمد صلى الله عليه وسلم « إمامهم » في زعمهم رغم موقفهم المعروف من الاسلام دين محمد عليه السلام .





للاستاذ : عمر بهاء الدين الأميري

وهذه أبيات ارتجلها الشاعر الأميري ليلة المولد الأغر، تبين الرأي الحق في هذا الصدد :

قلبي ، وحُبُّكَ للقلوبِ شفَاءُ
بهواكَ يَخْفِقُ ، والهوىٰ آستهداءُ

يا مَنْ بُعِثْتَ مُسَدَّداً ومُؤَيَّداً
ومُحَمَّداً وزَكَتْ بك الآلاءُ

الجاهلِيَّةُ ، ظُلمُها وَظَلامُها
بكَ بُدِّلَتْ أيَامُها السَّوْداءُ

وتَألَّقتْ مِنْ بَعْدِ حُلْكَتِها الدُّنىٰ
بِمَكارِمِ الأخْلاقِ فَهِيَ سَناءُ

لَمْ تَأْتِ بِدْعاً بَلْ أَتَيْتَ مُصَدِّقاً
وَمُهَيْمِناً ، فَعَلَتْ بِكَ العَلْيَاءُ

الله أَكْمَلَ دينَهُ بِكَ وَٱرْتَضَىٰ
وأتَمَّ نِعْمَتَهُ .. وعَمَّ حِباءُ

في أُمَّةٍ وَسَطٍ ، وَقَوْمٍ مازَهُمْ
خلاّقُهُمْ فَهُمْ هُمُ الشُّهَداءُ

وَجُعِلْتَ أنْتَ شَهيدَهُمْ وَمَجيدَهُمْ
طُوبَىٰ لَهُمْ فَهُمُ بِكَ السُّعَداءُ

أبْرَمْتَ أمرَ الله عَدْلاً مُحْكَماً
في الكَوْنِ فاتَّزَنَتْ بِهِ الغَبْراءُ

قِسطاسُــهُ يَسَـعُ الوُجـودَ بِفَضْلِهِ الوَحْــيُ ، وَحْــيُ الله ، أنْــتَ مَكانُهُ
جَحَدَتْــهُ أمْ شَهِـدَتْ بِهِ الأعْدَاءُ وَبَيَانُــهُ وَصِرَاطُــهُ الوَضَّاءُ

لا يَنْتَمــي الاَّ إلى الحَــقِّ الّذي قُرْآنُــهُ يَهْـدِي لأقْــوَمِ مَنْهَجٍ
في الأرْضِ وازَتْ كَفَتَيْهِ سَمَاءُ في العَــالَمِينَ ، و بِهُ غَرَّاءُ

إنْصَافُــهُ للخَلْــقِ فِيهِ سَجَاحَةٌ فالــدّينُ عِنْـدَ الله مِنْ تَنْزِيلِهِ
وَسَمَاحَــةٌ وَمُرُوءَةٌ وإخَاءُ (الإِسْـلامُ) وَهْــوَ إحاطَــةٌ وَغَناءُ

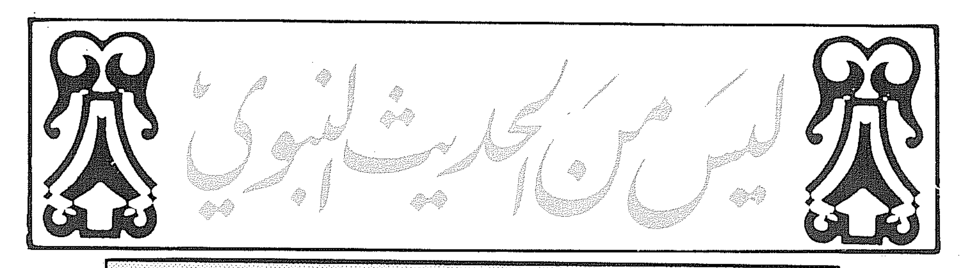
(الاشتِــراكِيّونَ) لَسْــتَ إمَامَهُمْ عَلَــمٌ تَفَــرَّدَ في العَوالِــمِ شَرْعُهُ
بِهُــوَادَةٍ .. أو بالتّطَــرُّفِ جَاءوا فَذٌّ وَكُلُّ الفَلْسَفَــاتِ مِرَاءُ

و (الــرَّأسمَالِيُونَ) يَنْتَسِبُــونَ في أوفىٰ وأربــىٰ وٱسْتَقَــلَّ لِذَاتِهِ
دَعْوَاهُــمُ ، كَلاًّ فَذَاكَ هُرَاءُ بــاســمٍ تَقَــاصَرُ دُونَــهُ الأسْمَاءُ

بَلْ أَنْــتَ خَاتَــمُ أنْبِيَاءِ الله في لا تَنْسِبُــوهُ إلى سِواهُ تَجَنِّيَاً
الــدُنْيا ، وأَنْــتَ رَسُولُــهُ البَنَّاءُ أهِــيَ الغَبَــاوَةُ أمْ هُمُ الأعْدَاءُ

(المُصْطَفَــى) البَــرُّ الأمِــينُ بِنُبْلِهِ نُورٌ ... وَدَيْجُــورُ فأيْنَ عُقُولُكُمْ ؟!
وَبِفَضْلِــهِ والأسْــوَةُ المِعْطَاءُ حُكْمٌ مِنَ الله العَليمِ ... مَضَاءُ

وَلأنْــتَ سَيِّدُ خَلْقِــهِ بِكَ كُرِّمَتْ القِمَّــةُ الإسْــلامُ (دِينُ مُحَمَّدٍ)
كُلُّ البَــرايا وازدَهــى الحُنَفَاءُ وَكَفَــىٰ .. بَلاغٌ مُبْــرَمٌ وَقَضَاءُ



يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« ان ابراهيم لما بنى البيت صلى في كل ركن الف ركعة فأوحى الله اليه افضل من هذا سد جوعة وستر عورة »

موضوع :

قال ابن تيمية : هذا كذب ظاهر .

والظاهر من هذا الحديث انه يفضل بعض الاعمال على الصلاة التي هي ركن هام من اركان اى عبادة في اى عصر وفي اى رسالة .

واعتبرها الاسلام من أركانه التي لا تسقط عن المسلم ابدا الا اذا فقد الوعي والعقل فضلا عن انها تضم بين أركانها أركانا اخرى للاسلام ، كالشهادة مثلا ، وتشير الى ما توحى به الأركان الأخرى في الاسلام .

« آية من كتاب الله خير من محمد وآله »

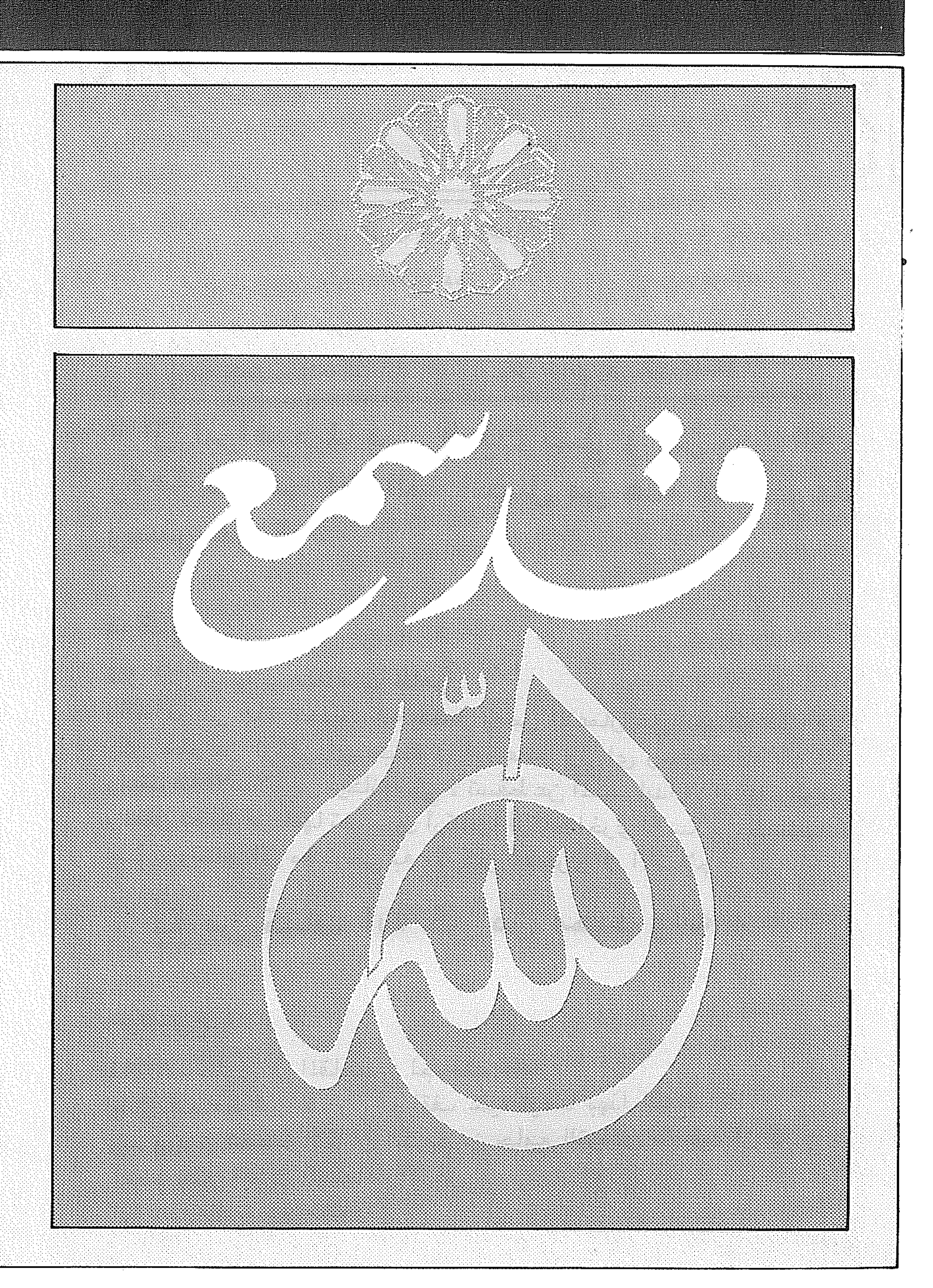
موضوع :

قال السخاوى في المقاصد : لم اقف عليه .

وقال الحافظ ابن حجر : لم اقف عليه ايضا بهذا اللفظ .

وقد ورد في فضائل القرآن الكريم من جامع الترمذي ما يفيد ان كلام الله اعظم خلق الله في السماء والارض .

اذا هذا اللفظ غير مأثور .


قد سمع الله

قد سمع الله .. ومن غيره يسمع وهو اقرب الى الانسان من حبـــل الوريد .. ؟ ومن سواه يسمع شكاة المظلوم وأنه الموجع ؟ اليس هو السميع العليم باحوال خلقه وما يعانون في ارضه .. ؟ اليس هو الذي يهدي الحيران ويأخذ بيد الملهوف في ظلمات الطريق .. ؟

أجل : أنه هو الله الذي استمع من فوق سبع سماوات لنبضـــات قلب خولة بنت ثعلبة ، الذي استصرخه من اللهفة على عش حبيب يوشــــك ان يتصدع .

وكانت خولة زوجة لرجل يدعى أوس بن الصامت ، به لمم يصيبه كثيرا من الوقت فلا يدري ما يقول ولا يعقل ما يفعل ، واحتملت خولة مصاب زوجها ابي أولادها ورضيت بالعيش معه تعمل لتعوله وتعول صغارها صـــابرة محتسبة اجرها عند الله تعالى .

وكان اوس يفيق من هذا الجنون فيعقل بعض العقل ويجتهد ان يتعـــاون مع زوجه ويساعدها في سعيها على الرزق ويجتهد في خدمة بيته وعيـــاله معهـــا .

لكنه في ذلك اليوم المشهود لاحى خولة وأكثر جدالها واغلظ لها القول حتى احتدم الجدال بينهما وتصاعدت حمية الغضب في رأسه فاذا به يصيح ((أنت على كظهر أمي ..)) فتخرس الالسن وينزل الصمت على كل من في البيت فلا ينطق وينظر بعضهم الى بعض نظرات فيها الجزع مما سمع والفزع من مستقبل مجهول ، مستقبل غامض لا يدرى احد ما الله محدث فيه .

ماذا قلت يا اوس ؟ ولماذا هذا القسم الرهيب الرعيب الذي كان يهدم البيوت ويشتت الاسر ؟ الم تعلم ان من ظاهر في الجاهلية كانت تحرم عليه امراته آخر الدهر .. ؟ لماذا تكون أنت يا اوس أول من يظاهر في الاسلام ؟

بعد ساعة هال أوس الدموع الصامتة التي تجري على وجه خولة واحس بالندم يغمر روحه والاسى يتفجر في صدره آلاما مبرحة فاقترب منها وقـــد نطقت عيناه بالحزن والالم يسالها : ــ ماذا .. ماذا قلت ؟

ــ لقد قلت ((أنت على كظهر امى ..))

ــ ما أراك الا قد حرمت على

ورفعت خولة اليه عينيها الدامعتين وفي نفسها اصرار على الدفاع عن بيتها .. عن كيانها .. عن حياتها وأولادها فقالت : ــ انك ما ذكـــرت طلاقا ..

اليس هذا ظهارا .. ؟

ــ نعم .. لكن كان هذا التحريم فينا قبل ان يبعث الله رسوله فأت رسول الله فسله عما صنعت .

ــ والله اني لاستحيي منه ان اساله عن هذا ..

ــ انت قلتها يا أوس ..

ــ نعم واني لنادم .. لكن لتاتي انت رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى ان تكسبينا منه خيرا وتفرجي عنا ما نحن فيه مما هو اعلم به .

نهضت خولة فلبست ثيابها ثم خرجت الى الطريق لا تكاد ترى ولا تحس

مما حولها شيئا .. قد اثقل الحزن قلبها وخيم الهم على روحها واحتشدت الافكار السود في رأسها وهي تكاد تعدو لتلقي باحمالها وهمومها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اليس هو المسئول عنا .. ؟ اليس هو رسول الله يتلقى وحي السماء .. ؟ ان السماء أرأف وارحم بنا من انفسنا .. وان رسول الله عزيز عليه ما عنتنا واخطائنا .. انه ولا شك سـيجد لنا من ضيقنا فرجا .

وما أن رات خولة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ام المؤمنين عائشة حتى قالت « يا رسول الله أن أوسا من قد عرفت .. أبو ولدى وابن عمي وأحب النـاس الي ، وقد عرفت ما يصيبه من اللمم ، وعجز مقدرته وضعف قوته وعى لسانه ، وأحق من عاد عليه أنا بشيء ان وجدته وأحق من عاد علي بشيء ان وجده هو ، وقد قال كلمة ، والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا ، قال « أنت على كظهر أمي .. »

فاطرق الرسول الكريم لحظة يفكر في امر هذه الزوجة الملهوفة تدافع عن زلة زوجها وتريد أن تحمي عشها لكنه لا يجد فيما أنزل عليه من تشريع حلا لمشكلتها فيقول « ما اراك الا قد حرمت عليه .. » .

لكن خولة في اندفاعها المخلص تجادل رسول الله مرارا وتراجعـه وتؤكد له ان اوسا لم يقصد طلاقا ولم يعنه قط لانه يحبها ويحب أولاده .

فلما يئست من جدال رسول الله رفعت بصرها الى السـماء قائلة « اللهم اني اشكو اليك شدة وجدي وما شق علي من فراقه ، اللهم انزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه فرج » .. فبكت عائشة رضي الله عنها وبكى كل من كان في البيت معهم رحمة لخولة ورقة عليها .

وبينا خولة كذلك بين يدى رسول الله تكلمه ، وكان رسول الله اذا نزل عليه الوحي يغط في رأسه ويتربد وجهه ويجد بردا في ثناياه ويعرق حتى يتحدر منه مثل الجمان ، قالت عائشة : يا خولة انه لينزل عليه الوحي واني لاظن ما هو الا فيك .

ــ اللهم خيرا فاني لم ابغ من نبيك الا خيرا .

ثم تقول عائشة رضي الله عنها « فما سرى عن رسول الله حتى ظننت ان نفسها تخرج فرقا من أن تنزل الفرقة » . فسرى عن رسول الله وهـو يتبسم فقال : « يا خولة » . قالت : لبيك ، ونهضت قائمة فرحا بتبسم رسول الله ، ثم قال : « قد أنزل الله فيك وفيه » ثم أخذ يتلو قائلا : (بسم الله الرحمن الرحيم . قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ، أن الله سميع بصير ، الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ، ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا ، وأن الله لعفو غفور . والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم) المجادلة / ١ ــ ٤ .

انحطت خولة جالسة وقد بهتت الابتسامة على شفتيها وزاغت نظراتها فلا تدري أهي فرحة ببراءة زوجها من الطلاق والتئام الشمل ؟ أم تراها حائرة

فيما اشترط الله من شروط لاستئناف الحياة الزوجية بعد هذا الظهار .
انها شروط لا يستطيعها اوس ولا تستطيعها خولة .. حقا لقد استجابت السماء لدعائها ونزلت رحمة الله بردا وسلاما على قلبها وأراد الله بالناس يسرا في دينهم . .لكن ماذا تستطيع مع ما هم فيه من فقر لتنفيذ شرط العـــودة ؟ .
والتفتت الي النبي صلى الله عليه وسلم تقول : يا رسول الله ..
ــ ((مريه أن يعتق رقبة)) .
ــ وأي رقبة والله ما يجد رقبة وما له خادم غيري .
ــ ((مريه فليصم شهرين متتابعين)) .
ــ والله يا رسول الله ما يقدر على ذلك ، انه ليشرب في اليوم كذا وكذا مرة ، قد ذهب بصره مع ضعف بدنه وانما هو كالخرشافة .
ــ ((فمريه فليطعم ستين مسكينا)) .
ــ واني له هذا وانما هي وجبة .
ــ ((فمريه فليأت أم المنذر بنت قيس فلياخذ منها شطر وسق تمرا ــ ما يعدل نصف أردب بالكيل المصري تقريبا ــ فيتصدق به على ستين مسكينا ..))
فانتفضت خولة واقفة وبودها لو استطاعت أن تقبل يد هذا الرسول الكريم الذي بعث رحمة للعالمين لكنها في الوقت نفسه تود لو تطوى الارض طيا لتعود الى زوجها وتخبره بما أراد الله لهما وتحدثه عن كرم الرســول الذي لا يشبهه كرم وسخائه الذي لم يعرف له التاريخ مثيلا .. انه حقـــا الرسول العطوف الرؤوف .. حقا انه أولى بالمؤمنين من انفســهم وأزواجه امهاتهم وبيوته للمسلمين جميعا مفتوحة تسمع شكاتهم وتضمد جراحهـــم وتأسو آلامهم .. وهل كانت خولة تتصور أن يدفع الرسول عقوبة زوجها ؟ ويتحمل هو عبء اطعام ستين مسكينا عن أوس ؟ .. انهم جميعا أولاده .. أوهو لنا جميعا كالوالد الرحيم . .
كانت خولة تراودها هذه الافكار وهي في طريق عودتها وتتردد في ذهنها بينما ابتسامة الرضي والامن ترتسم على شفتيها حتى بلغت البيت لتجـــد أوسا جالسا على الباب ينتظرها وما أن احس باقترابها حتى ســـارع يسالها :
ــ يا خولة ما وراءك ؟
ــ خيرا وانت دميم ..
ــ نعم نعم .. لكن اين الخير يا خولة ؟
ــ قد أمرك رسول الله أن تاتي أم المنذر بنت قيس فتاخذ منها شطر وسق تمرا فتصدق به على ستين مسكينا .
وتروى خولة ما حدث بعد ذلك فتقول ((فذهب أوس من عندي يعـــدو حتى جاء بشطر الوسق من التمر على ظهره وعهدي به لا يحمل خمســـة اصوع ، ثم جعل يطعم مدين ــ اربعة ارطال مصرية ــ من تمر لكل مسكين)) .
وهكذا استطاع أوس بقوة الحب ان يحمل ستة أمثال ما اعتاد حمله وان يعدو وأن يتصدق لتعود اليه زوجه الحبيبة التي احبها واحبته وتفانت في الاخلاص له .. وهكذا عاد السلام يظلل من جديد ذلك العش المؤمـــن الســـعيد .

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

الجمع بين الصلاتين

السؤال – نرى بعض الناس يجمعون بين الصلاتين بدون سفر ولا مرض ولا مطر ، ويقولون إن الدين يسر ، فهل لذلك أصل في الشرع ؟

أ . ع . م بمساجد الكويت

الجواب – روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة سبعا وثمانيا ، الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وفي لفظ الجماعة الا البخارى وابن ماجه : جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء من غير خوف ولا مطر . وعند مسلم في هذا الحديث من طريق سعيد بن جبير قال : فقلت لابن عباس : لم فعل ذلك ؟ قال : أراد ألا يحرج أحدا من أمته . وأخرج الطبرانى مثله عن ابن مسعود مرفوعا ، ولفظه : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء . فقيل له في ذلك فقال « صنعت هذا لئلا تحرج أمتى » .

والحديث ورد بلفظ : من غير خوف ولا سفر ، وبلفظ : من غير خوف ولا مطر ، ولم يقع مجموعا بالثلاثة في شئ من كتب الحديث أى بلفظ : من غير خوف ولا سفر ولا مطر . والمشهور من غير خوف ولا سفر .

وجاء في رواية البخارى ومسلم عن ابن عباس في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سبعا وثمانيا أن أيوب السختيانى سأل أبا الشعثاء جابر بن زيد الراوى عن ابن عباس وقال له : لعله في ليلة مطيرة . قال عسى .

وابن عباس كان يفعل كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم فان أبا الشعثاء يقول – كما رواه النسائى – إن ابن عباس صلى بالبصرة الأولى « الظهر » والعصر ليس بينهما شئ ، والمغرب والعشاء ليس بينهما شئ ، فعل ذلك من شغل . وفيه رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم . وفى رواية مسلم أن شغل ابن عباس المذكور كان بالخطبة ، وأنه خطب بعد صلاة العصر الى أن بدت النجوم « دخل الليل » ثم جمع بين المغرب والعشاء . وفيه تصديق أبى هريرة لابن عباس في رفعه .

هذا بعض ما ورد من الاحاديث والآثار في الجمع بين الصلاتين . والعلماء في ذلك فريقان :

أ – فذهب جماعة من الأئمة الى الأخذ بظاهر حديث ابن عباس فجوزوا الجمع في

الحضر ، أى في غير السفر ، للحاجة مطلقا ، ولكن بشرط ألا يتخذ عادة وخلقا ، قال ابن حجر في فتح البارى : وممن قال به ابن سيرين وربيعة وابن المنذر والقفال الكبير ، وحكاه الخطابى عن جماعة من أصحاب الحديث ، وقال الشوكانى في نيل الأوطار : رواه في البحر عن الامامية ، وروى عن علي وزيد بن علي . والحجة في ذلك نفى الحرج مادامت هناك حاجة ، وكان منها شغل ابن عباس بالخطبة .
ب ــ وذهب جمهور الائمة الى منع الجمع بين الصلاتين الا لعذر ، وحكى عن البعض أنه إجماع ، ولا عبرة بمن شذ بعدا لاجماع الأول ، وحجتهم في ذلك أخبار المواقيت التى حددت أوقات الصلاة ، ولا يخرج عنها الا لعذر ، ومن الأعذار ما هو منصوص عليه كالسفر ، وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه جمع بين الصلاتين في السفر ، وكالمرض ، فقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال للمستحاضة ــ والاستحاضة نوع مرض ــ « وإن قويت على أن تؤخرى الظهر وتعجلى العصر فتغتسلين وتجمعين بين الصلاتين » ومثله بين المغرب والعشاء . وكالمطر ، فقد جاء في موطأ مالك عن نافع عن ابن عمر ، كان إذا جمع الأمراء بين المغرب والعشاء في المطر جمع معهم ، وأخرج الأثرم في سننه عن أبى سلمة بن عبدالرحمن أنه قال : من السنة اذا كان يوم مطير أن يجمع بين المغرب والعشاء . وهناك أعذار أخرى قيست على هذه الأعذار أو هى في معناها ، كما سيأتى .

وأجاب هذا الجمهور على حديث ابن عباس الذى يقول بالجمع من غير عذر بأجوبة لا يسلم بعضها من المناقشة وعدم التسليم ، لكن أحسنها هو أن الجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة من غير سفر ولا مرض ولا مطر ، كان جمعا صوريا ، بمعنى أنه أخر صلاة الظهر الى آخر وقتها فصلاها ، ثم عجل صلاة العصر في أول وقتها ليس بينهما الا قدر يسير ، فيظن الرائى أنه جمع بين الصلاتين في وقت واحد لاحداهما ، والحقيقة أن كل صلاة وقعت في وقتها المحدود لها ، لأن لكل صلاة وقتا له أول وله آخر ، ولما كان أداء الصلاة في أول وقتها له فضله كان يحرص عليه الصحابة ، لكن ربما تكون هناك أعذار تمنع من المبادرة الى الصلاة أول الوقت ففعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك أحيانا ليرفع الحرج عن أمته ، وليعرفوا أن الصلاة في آخر وقتها وقعت أداء ولا حرج في التأخير مادامت هناك حاجة .

وهذا الجواب ارتضاه ابن حجر في « الفتح » وقال : قد استحسنه القرطبى ورجحه إمام الحرمين ، وجزم به من القدماء ابن الماجشون والطحاوى ، وقواه ابن سيد الناس بأن أبا الشعثاء ــ وهو راوى الحديث عن ابن عباس ــ قد قال به . ثم قال ابن حجر : ويقوى ما ذكر من الجمع الصورى أن طرق الحديث كلها ليس فيها تعرض لوقت الجمع فاما أن يحمل على مطلقها فيستلزم إخراج الصلاة عن وقتها المحدود بغير عذر ، وإما أن يحمل على صفة مخصوصة لا تستلزم الاخراج ، ويجمع بها بين مفترق الأحاديث ، فالجمع الصورى أولى أ هـ .



الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادهـا ، ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية؛ ولا غرو ، فهم مستقبلهـا السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة نبيه .

وكان أن أوصى المسئولون ــ زيادة في رعاية الشباب وتثقيفهم ــ بانشاء باب في مجلتنا (الوعي الاسلامى) يهتم بشئونهم ، ويبسط لهم تعاليم دينهم في يسر ، حتى يكونوا على النهج ، ويتجنبوا المزالق والهوى ، ويتحصنوا في وجه كل دخيل ، ففي الاسلام الدواء لكل داء .

ونحن نحس بموجة من السرور تطغى على نفوسنا ، حين نرى استجابة شبابنا للنداء الذى وجهناه اليهم ، فلم نكد نعلن على صفحات المجلة أننا على موعد مع الشباب ، نأخذ منه ونعطيه ، ونفتح صدورنا لفكره ، ورأيه ، حتى انهالت علينا الرسائل من أنحاء العالم الاسلامى والعربى ، وبدأنا من خلال تلك الرسائل ، نستشف ما يعتمل في صدور أبنائنا ، وما يجول في خواطرهم ، ثم شرعنا نسجل ذلك في مقتطفات من كلماتهم ، ليتكون منها معرض فكرى ، حافل بشتى المعارف والثقافات ، وسنبذل قصارى جهدنا بعون الله تعالى ، في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه ، الاسلام الحنيف ، وان نقيم بناء العقيدة في نفسه على أساس صحيح ، فان أحدا لا يستطيع إنكار ما للعقيدة من أثر باهر في صنع الحياة ، وازدهارها بالخير . والجيوش الباسلة ، إنما تستمد شجاعتها وصلابة مقاومتها من رسـوخ العقيدة ، وقوة الصبر ، أكثر مما تستمده من قوة السلاح ، وكثرة العتاد . وذخيرة الخلق الفاضل ، والسلوك الراشد ، أجدى على المجتمع من وفرة الانتاج ، وتكدس الأموال ، مع حياة تكتنفها الرذائل ، وتمسك بزمامها أيد غير نظيفة ...

ونحن نستطيع أن نصنع من شبابنا مثلا رائعة ، إذا أردنا وأرادوا ، والله من وراء القصد وهو ولى التوفيق .

من الشاب ابراهيم يحيى محمد ـ الفشن ـ بني سويف مصر وصلتنا هذه الرسالة يقول فيها :

أحب أن يكون هناك حديث شريف يخص الشباب يشرح بايجاز وانشاء باب للتعارف . ويرى وجود حديث قدسي مع شرحه ، وصفحة كاملة بها آية او آيات قرآنية حتى يمكن الاحتفاظ بها **ويسأل :**

ما حكم السهو في الوضوء وترك ركن أو سنة منه .

وما حكم النظر الى وجه الخطيبة والكلام معها ، وهل يلزم وجود الأهل أو الأقارب عند أي لقاء يتم بينهما .

وقد توجهنا الى فضيلة الشيخ عطيه صقر عضو لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت بهذه الأسئلة فقال :

لو تيقن أنه ترك ركنا من أركان الوضوء وجب عليه أن يأتي به سواء تذكر ذلك أثناء الوضوء أو بعده ، ويعد الوضوء باطلا بدون أداء هذا الركن ، وكل ما ترتب عليه من عبادات يعد باطلا .

أما اذا شك في ترك ركن من أركان الوضوء فان كان الشك في أثناء الوضوء لزمه الاتيان به وان كان بعد الانتهاء منه فلا يلزمه الاتيان به .

أما ترك سنة من سنن الوضوء فلا أثر لها في بطلانه .

وعن السؤال الثاني أجاب فضيلته فقال :

النظر الى وجه الخطيبة مندوب اليه ما دام عازما على الزواج لقول النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة وقد خطب امرأة : (انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما) أي يساعد على دوام العشرة بينكما . متفق عليه ، وقول النبي : (صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها اذا كان انما ينظر اليها لخطبة وان كانت لا تعلم) رواه أحمد .

وكذلك الكلام معها بشرط ألا يزيد في النظر على الوجه واليدين ، وألا يكون الكلام مثيرا مع مراعاة عدم الخلوة ، وعدم التلامس بأي وجه كان .

وبناء عليه فان وجود الأهل لازم صيانة للأعراض ، ومراعاة للآداب ، واغلاقا لباب الفتنة .

لقاء مع شاب سيريلانكي

على شاطىء البحر الاحمر ... وفي ميناء العقبة الاردني في ملتقى السياح ... وبهجة الزائرين . وبعد ان ادينا فريضة العصر ... ورفعنا ايدينا الى السماء ... نتوجه بالدعاء الى من لا يغفل ولا ينام . قائلين :

« اللهم أهدنا واهد بنا واجعلنا سببا لمن اهتدى » توجهت الى مكان المرطبات ، لأتناول كاسا من العصير ، يخفف وطأة حر المنطقة ، ولأستريح قليلا لأجفف قطرات العرق التي تتساقط من جبيني . .

وعند دخولي المكان لفت انتباهي شاب كنت قد رأيته من قبل . وتعرفت عليه ، شاب من – سيريلانكا – ، وكان يجلس وحده مطرقا . يحاول البحث عن اشياء يجد لها حلاوة في نفسه ولكنه لا يجدها . فيهز رأسه يائسا ... فحييته وقام الي مصافحا ... وجلست اليه ... ورحبت به في بلدي . وبعد ان تبادلنا الآراء والاسئلة ، قلت في نفسي آن الأوان لأغتنم هذه الفرصة الذهبية ، واسلك طريقي كداعية ..

وقمت بوضع المرغبات والمقدمات ... والتي لا اخالها تخفي على كل داعية ، لأقوم بالدعوة على اكمل وجه ، وادخل الى قلعته الحصينة من اوسع واسهل ابوابها دخولا . وفي اللحظة التي شعرت فيها انني استحوذت على شعوره وتفكيره ، قمت بطرح بعض الاسئلة الصريحة . وقد قام بالاجابة عليها ... بعضها بصراحة ... وبعضها بحرج .. وثالثة بمراوغة . وكان أول سؤال قمت بطرحه هو :

ما رأيك في الاسلام ...؟

وكان جوابه صريحا . بعيدا عن كل توقعاتي ... فلقد اجاب بأن الاسلام دين جيد كبقية الاديان بل وانه رائع ، فيه او امر من الله عزوجل لو طبقت لكان فيها الخير الكثير . وكذلك بقية الأديان . ثم طرحت السؤال الثاني وهو :

لماذا لم تعتنق الاسلام ...؟

فأجاب قائلا ، لأنني لم اكن اسمع عن الاسلام الا الدسائس والاكاذيب ، أما الان فقد عرفت أن الاسلام دين جيد وأن كل ما سمعته كان من الاشاعات ... !

وبعد اجابته عزمت على أن أطرح عليه سؤالا لا بد منه .. مع علمي التام باجابته عليه من مقارنته ومساواته للاسلام بالاديان الأخرى في اجابته التي تضمنت الاجابة عن السؤال الأول . فقلت :

ولماذا لا تعتنق الاسلام ... الآن ... ؟

فأجابني بالاجابة التي كنت اتوقعها كما ذكرت في الفقرة الماضية . وقال : لأنني ادين بدين سماوي وانا على ديني لا ازال ، ثم قام بضرب مثال لي وقال : لنأخذ ساعتي هذه ... فهي صالحة حسب اعتقادي . فما الذي يدعوني لتبديلها ..؟

فقلت : أعلم يقينا انها صالحة في اعتقادك ولكن ما رأيك اذا كانت الحقيقة تناقض اعتقادك تناقضا كبيرا وقد اثبت ذلك علماء العصر بتجاربهم وقوانينهم .

كما وان اعظم دليل على قولي هو التناقض الكبير بين اوامر الله وكتبكم المحرفة ، والتي نؤمن بها ايمانا قويا بحسب اصولها التي نزلها الله تعالى ونعتقد بتحريفها اعتقادا جازما ..

فما رأيك الآن ... يا صديقي . ما رأيك بعد ان عرفت كل هذا ... ؟

فقال : اسأل الله ان يريني الحقيقة ... ويدلني على الصراط المستقيم .

وهنا استرسلت قائلا :

... وما دامت كتبكم تخبركم عن النبي « محمد » صلى الله عليه وسلم

وكتابه وأوصافه . وان عليكم الايمان به .. فما رأيك بالقول المعجز المنزل من السماء مع الامين الى محمد صلى الله عليه وسلم .

« ان الدين عند الله الاسلام » صدق الله العظيم ...

وهنا شرع بالمراوغة ... وقال : ارجو ان لا تغضب مني يا صديقي ... ودعني اكون صريحا . فقلت له بلهفة : قل ما يبدو لك فهذا ما اريده منك ... واسترسل : ما دمتم تدعون الاسلام ، وتقوى الله ، فأصلحوا انفسكم قبل كل شيء ــ لماذا تشربون الخمور ؟ ولا تتحجب نساؤكم ؟ ولماذا ارى الدعارة متفشية عندكم ؟ ولماذا تتعرى نساؤكم على الشواطيء ؟ وتسمحون للاجانب بالتعري على الشواطيء ... لماذا ... ولماذا ...؟؟؟ مع أن كل هذا محرم في ديانتكم الاسلامية .

وهنا تذكرت ان سؤالا مثل هذا وجه الى الامام محمد عبده عند زيارته لاوروبا فقال : عمل المسلمين ليس حجة على الاسلام ... اخطأ القاضي فما ذنب القانون .

هذا سؤال والله يشهد .... انني أوجهه معك الى المسلمين عامة وهو سؤال لا بد ان نجد له جوابا باذنه تعالى . ومع هذا فأنا ادعوك الى دين الله الى المنبع الصافي والمنهل العذب . ادعوك الى صفاء الاسلام ... ونقاء عقيدته ... لا ادعوك الى تقليد هؤلاء الذين انحرفوا بعملهم عن الاسلام فأعمالهم وصمة عار في جبين الامة الاسلامية ...

وهذا الضياع الذي نكب به المسلمو ن هو نتيجة حتمية لبعدهم عن دينهم الذي ارتضاه الله لهم .

ومع كل هذا ... وذاك فأنا ادعوك بالعقل المفكر . والمنطق السليم للدخول في الاسلام أدعوك للا اله الا الله محمد رسول الله ... قلها يا اخي ولا تتردد ..

فقال : اشهد ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله ..

فتنفست الصعداء ...

ومع هذا لاحظت ان لديه اشياء وأشياء يود ان يقولها ... لاحظت ان في نفسه دفائن ريب لا تزال جاثمة في صدره ... تريد الخروج ولكنها لن تخرج حسب اعتقاده ... الا بعد ان يصدر قلبه عليها حكم الاعدام .

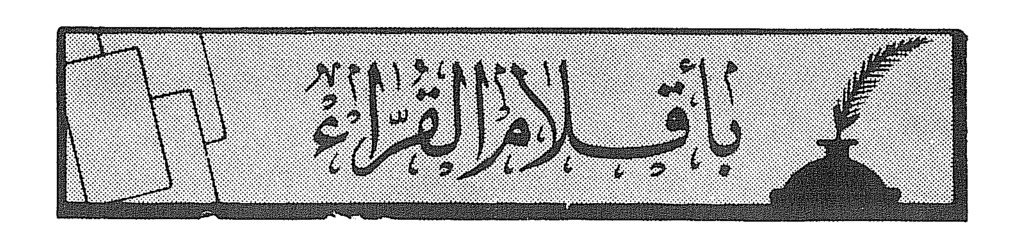
بعد هذا سادت لحظة صمت ... وتفكير عميق ... وأسئلة حائرة ... وفي تلك الأثناء هز جنبات المدينة صوت المؤذن ... فيهزه هزا ... يدعو الى الصلاة يدعو الى الفوز والفلاح .

عندئذ وقفت ... لأودعه بعد ان وعدته بارسال بعض الكتب الدينية المترجمة ــ للانجليزية . ليزداد فهما للاسلام .

وودعته وداعا حارا ... وداعا اخيرا ... لان لقائي به فيما بعد يكاد يكون على درجة من الصعوبة ، ودعته ضاغطا على يده ... بعد ان اصبح اخي في الاسلام .

وذهبت الى المسجد ... وأنا أكاد أطير من الفرحة ... لانتصاري .

صقر الصقور ــ الطفيلة ــ الاردن



« الشريعة العادلة »

جاءنا من السيد المستشار حسن الحفناوى كلمة بعنوان « الشريعة العادلة » قال فيها :

لو تأملنا تلك الخطة العميقة .. التى اختطتها الشريعة الغراء .. فيما سنت من قواعد لرأينا عجبا .... فليس هناك شرع .. أو فكر .. توسع في معنى العدل .. وتعمق في مفهومه .. كالاسلام الحنيف .. توسع فيه حتى جعله أساسا من أسس الاسلام .. واقتضى ذلك .. بداهة .... أن يتوسع في معنى الظلم .. توسع في معنى العدل .. ليتمكن من نشره .. وتوسع في معنى الظلم ليقاومه في كافة صوره .. وشتى مجالاته .. حتى لقد أصبح العدل .. في الشريعة .. جماع الطاعات .. بقدر ما غدا الظلم جماع المعاصى ..

وعلماء الاسلام لهم في تعريف الظلم والعدل فلسفة رائعة .. فليس الظلم .. لديهم .. قاصرا على مجرد غصب الحقوق .. وانما يتسع ليصبح « وضع الشئ في غير موضعه اللائق به » . وعلى ذلك .. فالكافر ظالم .. لأنه ينسب الى الله تعالى ما لا يصح .. وهو بذلك يضع عقيدته في غير الموضع المناسب لها .. لذا يقول تعالى :

(**إن الشرك لظلم عظيم**) لقمان/١٣ . كذلك يقول عز وجل : (**فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها**) الانعام/١٥٧ . والسارق كذلك ظالم لأنه يضع مال الآخرين في غير الموضع اللائق به ... والقاتل ظالم .. وهلم جرا في كافة الآثام .. لهذا يقول الله تعالى مشيرا الى ذلك : (**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**) الطلاق/١ .

ومن أجل ذلك .. فان أبا البشر آدم عليه السلام .. عندما حظر الله عليه أن يأكل من تلك الشجرة .. ولكن الشيطان ازله وحواء عن ذلك .. فسألهما الله عز

وجل .. فأدركا في الحال أنهما بهذا العمل إنما ظلما أنفسهما لذا إعترفا بذلك وسارعا إلى الاعتذار وطلب الغفران :

(قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الاعراف/ ٢٣ . بل إن الاسلام بلغ من حربه للظلم .. ومقاومته اياه .. وتعقبه له في سائر المجالات .. أن قال بعض اللغويين .. إن الظلم مشتق من الظلام لما في كل منهما من تعمية وابهام . لذا وضع الله تعالى جزاءين للظلم .. احدهما في الدنيا والثاني في الآخرة . فأما جزاء الدنيا فقد اشار الله له بقوله تعالى :

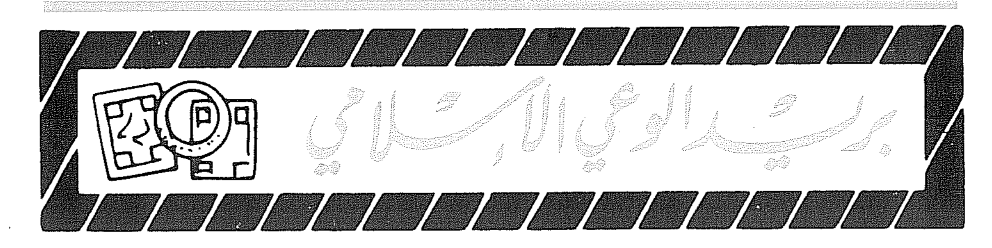
(فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) .

(« وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا) الكهف/ ٥٩ فالهلاك إذا وخراب الديار جزاء الظالمين في الدنيا . ولقد ضرب الله لنا أمثلة ببعض الظالمين .. وما حاق بهم من الجزاء الدنيوى فيقول سبحانه :
(فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) البقرة/ ٥٩ ثم وضح لنا عز وجل رفضه الشفاعة في الظالمين .. فقال مخاطبا نبيه نوحا .. عندما أراد أن ينزل أمره بالكافرين من قومه :

(ولا تخاطبنى في الذين ظلموا إنهم مغرقون) المؤمنون/ ٢٧ . وأما الجزاء الأخروى للظالمين .. فقد أشار الله تعالى له فقال :
(فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم) الزخرف/ ٦٥ .

لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ينهى عن الظلم فكان يقول : « الظلم ظلمات يوم القيامة » . ثم كان يحذر الظالمين من ظلمهم فيقول : « ان الله ليملى للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته الم تسمعوا قوله تعالى .. : **(وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه أليم شديد) .** ثم إن الاسلام لم يكتف بأن يأمرنا بالعدل .. وينهانا عن الظلم .. بل أمرنا أن نضرب على ايدى الظالمين .. يقول تعالى : **(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار)** هود/ ١١٣ .. ثم يصور لنا ذلك في حوار جميل .. ليبغض لنا الاستخذاء للظالمين .. يقول :

(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) النساء/ ٩٨،٩٧ .



تشكيل الأحاديث الشريفة ودرجة صحتها

حول هذا الموضوع جاءتنا رسالة الأخ صالح الأبنودي متمنيا أن يقرأ الأحاديث مشكلة .

نلفت انتباهك أننا نحرص على هذا حرصا شديدا ، حتى نعود الناس النطق السليم للحديث ، ونضع امامهم السنة الخالصة من الدخيل . وحتى لا يلتبس المعنى اذا جاء النطق مخالفا للمراد من الحديث .
وتمشيا مع الهدف الذي من أجله وضعت قواعد النحو فبعد أن شارك العرب مجموعات من المسلمين غير العرب شعروا بالحاجة إلى وضع هذه القواعد حماية للقرآن الكريم من اللحن وصونا للسنة من الخلط .
من هذا المنطلق أتى حرصنا على تشكيل الأحاديث وما خفى على الناس منهم لفظه بصفة عامة .
ومن ناحية أخرى فاننا نراعى تخريج الأحاديث ، ونسبتها الى راويها حتى نتبين الصحيح من غيره .
ولقد أصبح هذا المنهج سمة المجلة الواضحة حتى لا نتحمل تبعة نشر أحاديث غير صحيحة ، تفسد على الناس دينهم ، وتشوش عليهم سنة نبيهم المصدر الثاني الهام في التشريع بل والذي نستقي منه الهدى النبوي في العبادة والسلوك .

• • •

ويسأل الأخ ابراهيم يحيى عن صحة حديثين شريفين ويقول :
إن هذين الحديثين يكثر ذكرهما في المساجد ، وفي المحافل العلمية .
وانطلاقا من حرصي الشديد على عدم تشويه السنة ، وقد كثر في هذه الايام المتكلمون بالحديث والمستهينون بالسنة .
لذلك أرجو ان تذكروا لي درجة الصحة أو غيرها لهذين الحديثين .
ونحن هنا نذكر نص الحديثين الواردين في الكتب الصحيحة والتي أخذها المسلمون بالقبول والرضا ، ووقفوا أمامها معتقدين الصحة لما لجامعها من الشروط الضابطة الشديدة في جمع الاحاديث .
واليك نص الحديث الأول المتفق على صحته :
عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله :

الامام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

أخرجه البخاري ومسلم

وهذا النص الشريف المتفق على صحته أيضا :

روى علقمة رضي الله عنه قال : كنت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فلقيه عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال :

يا أبا عبد الرحمن إن لي اليك حاجة فخليا فقال عثمان : هل لك يا أبا عبد الرحمن في أن نزوجك بكرا تذكرك ما كنت تعهد ، فلما رأى عبدالله أن ليس له حاجة الى هذا أشار الي فقال يا علقمة فانتهيت اليه وهو يقول أما لئن قلت ذلك لقد قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » . أخرجه البخاري ومسلم

للخمر مضار لا حصر لها

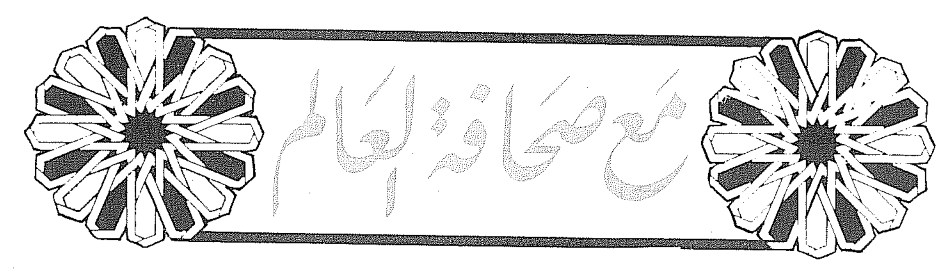
وجاءتنا هذه الرسالة من الأخ مجاهد عبد الله كلية الطب الدار البيضاء المغرب يقول فيها :

حاضرنا أستاذ فرنسي عن مرض « تشمع الكبد » وهو مرض خطير تعتبر الخمر من اسبابه الرئيسية ، ثم اردف الفرنسي قائلا بعبارات ليست عابرة .

« انكم ايها المسلمون سعداء الحظ لنهي دينكم عن شرب الخمر ، بينما اصبح شربها في بلدي مأساة وطنية تتكلف الدولة نحوها مليارات الفرنكات سنويا لمعالجة عواقبها الوخيمة من صحية واجتماعية واقتصادية ، ليكن مسك الختام أن أقول لكم ابتعدوا عنها ما استطعتم » .

شهادة حق أخرى من عالم متخصص لهذا الدين من غير أهله ، أما آن للضالين من أهله أن يؤوبوا اليه بعد طول هجران : **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** .

ونحن نؤكد لصاحب الرسالة ولغيره من الاخوة المسلمين ان الله سبحانه عندما يقول : **(يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)** . انما يعني أنها أم الخبائث ، وان الاقلاع عنها ضرورة لسلامة الانسان ، فقد سماها الله سبحانه وما ماثلها رجسا من عمل الشيطان ، ثم يأتي النص القرآني مؤكدا النهي عنها في قول الله سبحانه : **(فاجتنبوه)** وهذا الأمر من الله يقتضى وجوب الاجتناب والابتعاد حتى عن مجلسها .



الحجر الأسود

نشرت مجلة « منار الاسلام » مقالا للاستاذ عبد التواب يوسف حول الحجر الأسود تحدث فيه عن رأي العلم في هذا الحجر نقتطف منه ما يلي :

الحجر الأسود ــ أو الأسعد ، كما يحلـو للبعض تسميته ــ موجود في الكعبة المشرفة ، منذ قامت ، وبنيت ، قبل مدة تقدر بنحو عشرين قرنا ، او الفي عام ... ما حكايته ؟... لقد آمن العرب قبل الاسلام وبعده انه حجر من السماء ، وبعد كل هذه القرون تأتي حقائق العلم لتؤكد ذلك ، وتلقم المعترضين حجرا ، وتخرس ألسنتهم ... وفي هذه الـدراسة المـوجزة نروي قصة هذا الحجر الشريف الطاهر ، ونتحدث عما حدث من مغامرات ، قبل ان تستقر قطعة منه في معامل البحوث الجيلوجية في انجلترا منذ قرن وربع القرن من الزمان .

وصف الحجر

الحجر الاسود حجر صقيل بيضي ، غير منتظم ، ولونه اسود يميل الى الاحمرار ، وفيه نقط بيضاء ، وتعاريج صفراء ، ويصف محمد لطفي جمعه في موسوعته « ثورة الاسلام » الحجر الاسود بقولـه : « وهبط أثناء البناء حجر من السماء ، هو الحجر الاسود ، ولعله من نوع النيازك بدليل وصفه انه كان يتلألأ نورا فأضاء شرقا وغربا وشمالا ويمينا الى منتهى أنصاب الحرم ، وتلألأ الموصوف في الكتب دليل على انه كان ذا لون غير السواد ولكن بعض المـؤرخين يعلل سواده بأنجاس الجاهلية وأرجاسها ، وقد ثبت ان بعض النيازك يتغير لونها بمجرد مرور الزمن عليها ، ومنها ما يتلألأ ويلمع ، والكلمة من أصل فارسي « نيزه » وهو احد اقسام الشهب . الشهاب ما يرى كأنه كوكب انقض من السماء وتكثر في شهر « آب » (اي اغسطس) .

ثم يستطرد الكاتب مستعرضا رأي العلم الحديث في حقيقة الحجر الاسود فيقول :

أحجار السماء

وسؤال يطرح نفسه ...

ــ ما رأي « العلم » في موضوع نزول الحجر الاسود من السماء ؟.

كثيرون من رجال العلم التطبيقي ــ كالفيزيقاء والجيولوجيا ــ يقفون في صمت امام مثل هذه القضية ، بل

يشعرون ازاءها بعدم الارتياح ، بل يعلن بعضهم عن عدم تصديقه لها ، متناسين ان هناك احجارا تسقط من السماء ، وان الضوء الذي يلمع وينطفىء امام ابصارنا يعلن عن ذلك ، بل ان هذه الاحجار قد يبلغ وزن الواحد منها عدة اطنان ، حتى ليقدرون ما ينزل على الارض سنويا منها نحو مليون طن ، وأحد هذه الأحجار أحدث في القشرة الارضية حفرة يصل عرضها الى الف متر ، وعمقها بلغ ما يزيد على مائة وخمسين مترا ... والسر في ذلك انها تسقط بعنف ، بجانب ان درجة حرارتها مرتفعة جدا ، تصل الى نحو ٩٠٠ درجة مئوية (الماء يغلي في درجة مائة ، ودرجة حرارة الانسان الطبيعية ٣٧) ... وهذه الاحجار تسقط من الكواكب المتسعة التي تدور حول الشمس مع كوكب الارض الذي نعيش عليه ، وهي تنفصل من الكواكب حين تحدث فيها الانفجارات وتظل تدور حول الارض ، وعندما تفقد توازنها تسقط عليها ، وتدخل الاحجار الى مجال الهواء الجوي لتحدث لاحتكاكها به حرارة عالية ، تطيح بجانب كبير منها ، وهذه الصخور تختلف في تركيبها الجيولوجي عن تركيب صخور كوكبنا وأرضنا ، وفي مصر احصى العلماء ثمانية صخور سقطت من الفضاء أولها سقط عام ١٩١٢ وآخرها في سنة ١٩٧٠ ... وعلى ذلك فسقوط الأحجار ... من السماء ظاهرة علمية معروفة ومؤكدة ... والسؤال المطروح ... هل منها الحجر الأسود ؟.

تحاليل المعامل :

لقد حاول الرحالة العلامة السير ريتشارد بيرتون ان يجيب على هذا

٨٣٠ ألف مسلم جملة حجاج بيت الله الحرام هذا العام

بلغ عدد حجاج بيت الله الحرام هذا العام (٨٣٠,٢٣٦) حاجا قدموا من (١٢٠) دولة بزيادة عددها (٩٠٦٩١٧) حاج عن العام الماضي .

ويوضح تقرير نشرته وزارة الداخلية بالمملكة العربية السعودية أن النسبة الكبيرة من القادمين للحج هذا العام كانت من الدول العربية حيث وصل عددهم الى (٤٢٨,٩١٨) حاج يليهم حجاج آسيا (٢٦٠,٠٦٦) حاج ثم حجاج أفريقيا (٨٧,١٦٦) وكان عدد حجاج أوربا (٣٥٠٨) حاج بينما كان مجموع حجاج الامريكتين واستراليا (٥٤٦) حاج فقط .

وكان أكبر عدد من الحجاج قدموا من دولة واحدة هم حجاج اليمن الشمالية حيث بلغوا (١٢٣,٨٣٥) حاج بينما كان حجاج روسيا لا يزيدون عن ٢٥ حاجا .

ويذكر أنه - ولأول مرة - يضطر المشرفون على موسم الحج الى إغلاق أبواب المسجد الحرام وعددها ٣٣ بوابة بعد أن وصل الازدحام داخله الى حد لا يستوعب المزيد .

السؤال بطريقة علمية ، فتخفي عام ١٨٥٣ - ورحل من انجلترا الى مصر في زي مغربي ، مدعيا انه مسلم ، وكان يجيد العربية كأبنائها ... وعن طريق السويس وينبع وصل الى المدينة ثم مكة ، وهناك اندس بين الحجاج ، واستطاع ان يحصل على قطعة من الحجر الاسود حملها معه الى لندن ، وفي المعامل الجيلوجية فيها ، بدأت التجارب العلمية التي اثبتت ، واكدت ان الحجر الاسود ليس من احجار ارضنا وكوكبنا ، بل هو من احجار السماء ، وكان المسلمون عبر قرون طويلة يقولــون بهذا ، فلا يصدقهم أحد ، ويتصور كثيرون من الاوروبيين انها مجرد رغبة في اضفاء لون من « القداسة » على هذا الحجر ... وسجل بيرتون (١٨٢١ - ١٨٩٠) في كتاب له بعنوان « الحج الى مكة والمــــدينة » هذه القصة ونشر هذا الكتاب عام ١٨٥٦ في لندن . واذا كان رجال العلوم التطبيقية لا يثقون في تجارب بريطانيا على القطعة التي انتزعها سير ريتشارد بيرتون من الحجر الاسود فعليهم ان يراجعوا تلك القائمة العالمية « الكتالوج » الدولي ، الذي يصدر بشكل دوري ، عن طريق مجموعة من أساتذة العلـــوم المرموقين ، ويسجل بشكل منتظم تلك الاحجار التي تسقط من السماء ، وقد تم تسجيل الحجر الأسود ، رسميا ، على انه واحد من هذه الاحجار .

ان العلم هنا ، بل في كل شيء ، لا يتعارض مع الايمان ... لقد آمن المسلمون وصدقوا انه حجر من السماء ، واثبت العلم ذلك واكده ... بعد سنين طويلة .

الرسول والحجر الاسود

روى (ابن شيبه) و (الدار قطني) في (العلل) عن عيسى بن طلحة أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند الحجر ، فقال ..

- « إني لأعلــم أنك حجر لا تضر ولاتنفع ثم قبله وهكذا فعل ابو بكر الصديق وقال ايضا اني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبك ما قبلتك » .

وقال هذا القول المأثور أيضا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..

- « اما والله اني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع .

ولــــولا اني رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام قبلك ، ما قبلتك » .

ثم دنا فقبله : (رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم) .

تلك هي قصة « الحجر الاسود » ... بين حقيقة العلم ويقين الايمان ... وهي واحدة من قصص تؤكد انه لا تعارض قط ، بينهما ، بل ان العلم اساس للايمان ، والايمان يساند العلم ... والحياة تمضي بهما معا ، وقدما للامام ... وما هذا التاريخ الذي نعرضه للحجر الاسود الا مثل لما يمكن ان يكشفه العلم لنا عما نؤمن به ، وما يمكن ان يزودنا به الايمان من علم ومعرفة .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب	:	الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧) الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) الطائف : مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جدة المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)
البحرين	:	دار الهلال .
قطر	:	دار العروبة .
أبو ظبي	:	مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)
دبي	:	مكتبة دبي .
الكويت	:	شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	[illegible]	ديسمبر	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاحد	١	٣١	١٢ ١٧	١ ٤٢	٦ ٥١	٩ ٤٢	١ ٢٣	٥ ١٧	٦ ٤٢	١١ ٥١	٢ ٤١	٥ ٠٠	٦ ٢٢
الاثنين	٢	يناير	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٨	٤٢	٥١	٤٢	٠٠	٢٣
الثلاثاء	٣	٢	١٦	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٠١	٢٤
الاربعاء	٤	٣	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٣	١٨	٤٣	٥٢	٤٣	٢	٢٤
الخميس	٥	٤	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٣	١٨	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥
الجمعة	٦	٥	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٣	١٩	٤٣	٥٣	٤٥	٣	٢٦
السبت	٧	٦	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٣	١٩	٤٣	٥٤	٤٦	٤	٢٦
الاحد	٨	٧	١٤	٣٩	٥٠	٤٢	٢٣	١٩	٤٣	٥٤	٤٦	٥	٢٧
الاثنين	٩	٨	١٤	٣٩	٥٠	٤٢	٢٣	١٩	٤٤	٥٥	٤٧	٥	٢٨
الثلاثاء	١٠	٩	١٣	٣٨	٤٩	٤٢	٢٣	١٩	٤٤	٥٥	٤٨	٦	٢٨
الاربعاء	١١	١٠	١٣	٣٧	٤٩	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٥	٤٨	٧	٢٩
الخميس	١٢	١١	١٢	٣٦	٤٨	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٦	٤٩	٨	٣٠
الجمعة	١٣	١٢	١١	٣٥	٤٨	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٦	٥٠	٩	٣٠
السبت	١٤	١٣	١١	٣٤	٤٧	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٧	٥١	٩	٣١
الاحد	١٥	١٤	١٠	٣٣	٤٧	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٧	٥١	١٠	٣٢
الاثنين	١٦	١٥	٩	٣٢	٤٦	٤١	٢٢	٢٠	٤٣	٥٧	٥٢	١١	٣٣
الثلاثاء	١٧	١٦	٨	٣١	٤٦	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٨	٥٣	١٢	٣٣
الاربعاء	١٨	١٧	٧	٣٠	٤٥	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٨	٥٤	١٣	٣٤
الخميس	١٩	١٨	٦	٢٩	٤٥	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٨	٥٤	١٤	٣٥
الجمعة	٢٠	١٩	٥	٢٨	٤٤	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٩	٥٥	١٤	٣٦
السبت	٢١	٢٠	٤	٢٧	٤٤	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٩	٥٦	١٥	٣٦
الاحد	٢٢	٢١	٣	٢٦	٤٣	٤١	٢١	٢٠	٤٢	٥٩	٥٧	١٦	٣٧
الاثنين	٢٣	٢٢	٢	٢٥	٤٣	٤٠	٢١	١٩	٤٢	١٢ ٠٠	٥٧	١٧	٣٨
الثلاثاء	٢٤	٢٣	١	٢٤	٤٢	٤٠	٢٠	١٩	٤٢	٠٠	٥٨	١٨	٣٨
الاربعاء	٢٥	٢٤	٠٠	٢٢	٤١	٤٠	٢٠	١٩	٤١	٠٠	٥٩	١٩	٣٩
الخميس	٢٦	٢٥	١١ ٥٩	٢١	٤١	٤٠	٢٠	١٩	٤١	١	٣ ٠٠	٢٠	٤٠
الجمعة	٢٧	٢٦	٥٨	٢٠	٤٠	٤٠	٢٠	١٨	٤١	١	٠٠	٢١	٤١
السبت	٢٨	٢٧	٥٧	١٩	٤٠	٣٩	٢٠	١٨	٤٠	١	١	٢١	٤١
الاحد	٢٩	٢٨	٥٦	١٦	٣٩	٣٩	٢٠	١٨	٤٠	١	٢	٢٢	٤٢

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –